السادات

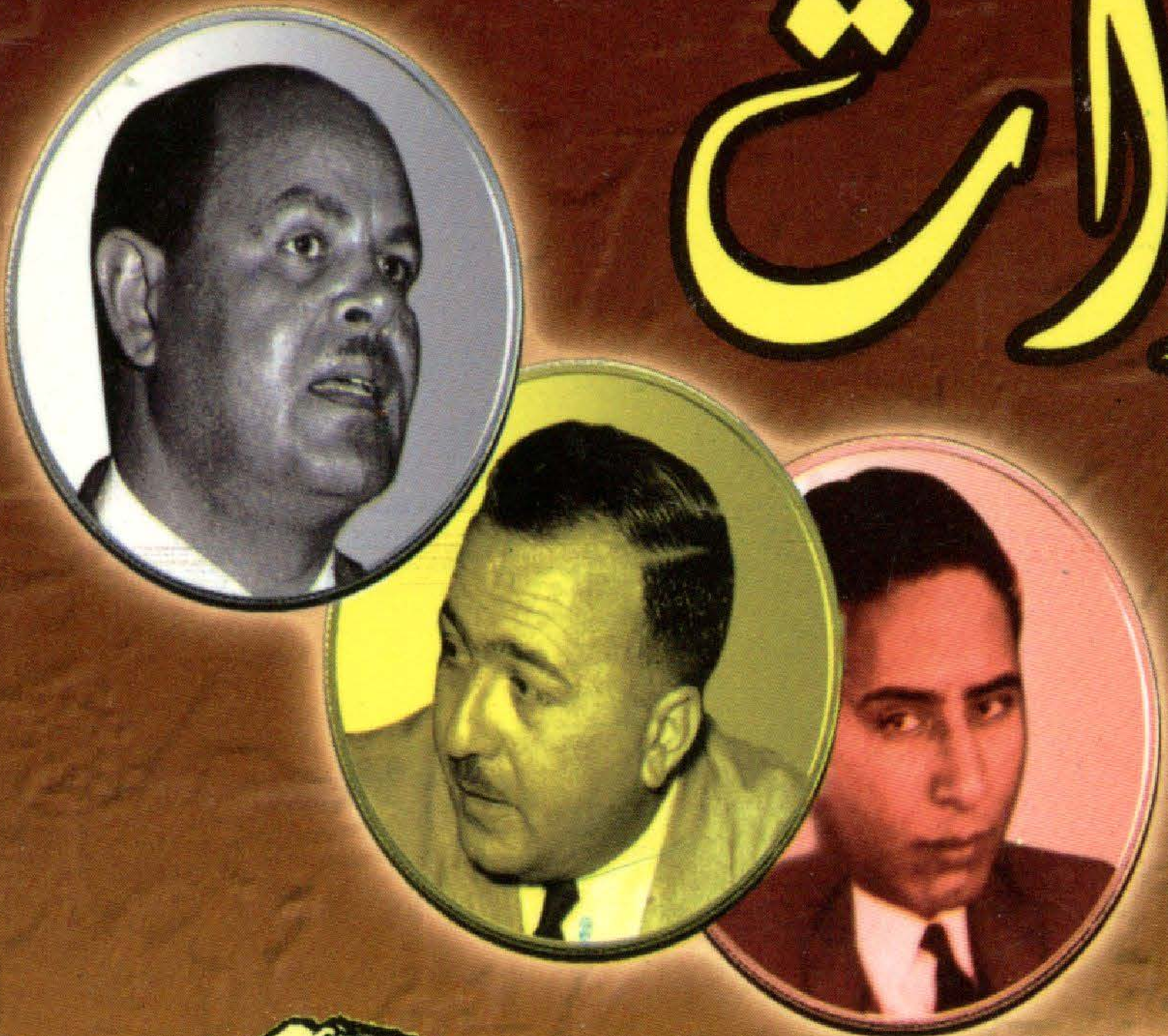

وحكايات أخرى .....

أحمد طلعت

أحمد طلعت

السـادات وحكايات أخرى..

إهـــــداء

إلى زوجتى التى رحلت

الوفية .. الرضية ..

وجدان

عرفانا بجميلها حتى اللقاء ....

أحمد طلعت

أنور السادات

وجهان لعملة واحدة ..

أنت مفصول

التقيت بالسادات لأول مرة فى عــام ١٩٥٣ ، بعـد أن انتهيت من دراستى ، وخرجت ابحث عن عمل ابدأ به حيــاتى العملية ..

وكان البكباشى أنور السادات – عضــو مجلــس قيــادة الثورة وقتها – مكلفا بإصدار جريدة يومية تحمل فكر الثورة ، وتقيم التوازن مع بقية الصحف التى تصدر فى ذلك الوقــت ، والمملوكة كلها ملكية خاصة.

ولم تكن الثورة تثق فى سياسة أو صــحافة مــا قبــل قيامها، رغم أن الكثيرين من رجال السياسة والصحافة قد ألقوا بأنفسهم فى أحضانها، وتسابقوا فــى حــرق البخــور لهــا ، ولرجالها ..

وكانت للسادات بعض الخبرة بأمور الصحافة ، منذ طرق أبواب العمل فيها بعد فصله من القوات المسلحة ، فى أعقــاب اتهامه بالاشتراك فى مقتل " أمين عثمان " وقيام الشبهات من حوله تشير إلى تورطه فى العمل لحســاب النازيــة ، خــلال الحرب العالمية الثانية.

ولقد اعترف السادات نفسه بهذا الاتهام أو ذاك فى كــل ما نشره من مؤلفات ، ابتداء من كتاب " صفحات مجهولة من كتاب الثورة " وانتهاء بكتاب " البحث عن الذات " الذى وضعه وهو رئيس للجمهورية ..

وكانت هذه الخبرة " المحدودة " بشئون الصحافة كافية لترشيحه للإشراف على إصدار جريدة " الجمهورية " وإدارة سياستها، وكتابة مقالاتها الافتتاحية ..

واختار السادات لرئاسة تحرير الجريدة الجديدة صحفيا شابا، هو الأستاذ حسين فهمى، الذى كان يعمل وقتها فى جريدة " الزمان " المسائية ، والمملوكة لادجار جلاد باشا ، الذى كان – قبل الثورة – واحدا من أقرب المستشارين للملك السابق فاروق ..

وكان السادات يبرر اختياره لحسين فهمى رئيسا لتحرير جريدة الجمهورية – التى تصدرها الثورة – بأنه كان الصحفى الوحيد الذى لم يتقاضى مليما واحدا من "المصروفات السرية" التى كانت حكومات ما قبل الثورة تشترى بها ذمم الصحفيين ، وتضمن بها ولاءهم.

وربما كان اختيار السادات لحسين فهمى ، أحد الاختيارات الصحيحة – القليلة – التى مارسها فى حياته ، فقد كان الشائع عنه رحمه الله سوء اختيار الرجال ، خصوصا فى آخر أيامه ..!!

وللعمل فى جريدة الجمهورية ، كان لابد من وجود طريق إلى أنور السادات ، فهو صاحب الأمر والنهى فى شئون الجريدة ، وهو المفوض فى كل ما يتعلق بها ، أو بمن فيها ..

وقد تطوع بهذه المهمة أحد أقاربى، وكان صديق عمر، وزميل دراسة لأنور السادات، منذ أيامه المتواضعة الأولى التى

تكفل بتصويرها بكل أبعادها الأستاذ محمد حسنين هيكل في كتابه " خريف الغضب " ، رغم تحفظات كانت للبعض حول هذا الكتاب ..

وأخذني قريبي إلى مبنى جريدة الجمهورية القديم – في شارع الصحافة – وطلب مقابلة أنور السادات الذي استقبلنا بعد دقائق معدودة، فاتحا ذراعية لعناق سعد زايد – وزير الإسكان فيها بعد – صديق عمره ، وزميل دراسته ، الذي قدمه أنور السادات إلى المحاكمة ، ضمن من قدمهم بعد ما سمي بحركة التصحيح في ١٥ مايو سنة ١٩٧١ ، وبعد أشهر قليلة من توليه رئاسة جمهورية مصر العربية ..!!

وأعود إلى عام ٥٣ ، عندما احتضن أنور السادات سعد زايد ، ووقع على الفور قرار تعييني محررا بقسم الأخبار في جريدة الجمهورية ، فتوليت في بادئ الأمر تغطية أخبار اللجنة العليا للإصلاح الزراعي ، ثم كلفت بعدها بأن أكون مندوبا للجريدة في رئاسة مجلس الوزراء.

وكان محمد نجيب وقتها رئيسا للجمهورية ولمجلس الوزراء ، وكان شغوفا بالإدلاء بالتصريحات الصحفية ، فلا يترك مناسبة إلا ويتحدث فيها إلى الصحفيين ، الذين ينقلون أحاديثه إلى صحفهم فتنشر في أهم الصفحات ، وبأبرز العناوين.

وكنت أنقل تصريحات اللواء محمد نجيب حرفيا ، فأي تصريحات أولى بالاهتمام من تصريحات رئيس الجمهورية ،

وأى أخبار أصدق مما ينقل عن رئيس مجلس الوزراء من أخبار .؟

وجاءت أزمة مارس عام ١٩٥٤ لتلقى بظلالها على الموقف كله، فقد نشب خلاف - داخل مجلس الثورة - بين جناحين يتزعم محمد نجيب واحدا منهما ، ويتزعم جمال عبدالناصر الجناح الآخر وكان الخلاف - فى أساسه - يتعلق بقضية الديموقراطية على النحو الذى رواه غيرى من الكتاب بتفصيل واسع فى مناسبات كثيرة.

وفى مساء أحد الأيام من شهر مارس عام ١٩٥٤ استدعانى أنور السادات لمقابلته فى مكتبه بجريدة الجمهورية ... وكان السادات ممن ينامون أكثر النهار ، ويعملون أكثر الليل ... لذلك فقد كان موعد المقابلة بعد منتصف الليل ... وربما كان أسلوب العمل فى الجرائد اليومية لا يجعل من هذا الموعد شيئا غير مألوف خصوصا بالنسبة " للمخبرين الصحفيين " الذين يحرصون على تزويد جرائدهم بآخر الأخبار ، إلى آخر دقيقة تسبق عملية طبع الجريدة.

ودخلت إلى حجرة أنور السادات ، فوجدته جالسا فوق مقعد وثير فى الناحية المقابلة لمكتبه ، وأمامه عشاءه الأثير الذى يتكون - عادة - من بعض اللحوم المشوية أو الفراخ "المحمرة" فقد كان يميل إلى أن يكون العشاء قاصرا على بعض "النواشف" كما كان العشاء هو وجبة طعامه الرئيسية.

وظللت واقفا أمامه ، حتى رفع عينيه فى وجهى ، ووجه إلى الحديث بغير اكتراث :

- الراجل نجيب ده راجـل " خرفـان " بيحـب كثـرة الكلام ..، وتملكتنى دهشة لم تترك للسانى القـدرة علـى أن أنطق بكلمة واحدة ، وكيف يمكن لشاب فى العشـرينات مـن عمره أن يسمع عضوا فى مجلس قيادة الثورة يصف رئـيس الجمهورية بأنه رجل " خرفان " ثم يستطيع لسـانه أن ينطـق بالكلام ..؟؟

واستطرد السادات :

- من هنا ورايح سيبك منه ، ولا تنشر من تصـريحاته شيئا على الإطلاق ..

واستجمعت ما بقى من الوعى - بعـد ذهـول هائـل - وقلت :

- حاضر يا أفندم ..

واستدرت خارجا من الحجرة ، وكأننى هارب من هول لا أملك مواجهته إلا بالفرار.

ولم أكن أستطيع - رغم الذهول - إلا أن أنفذ ما أمر به أنور السادات ، فهو أكبر المسئولين فى الجريدة ، وهو عضو فى مجلس قيادة الثورة ، وبالتالى فهو أعلـم منـى - ومـن غيرى - بما يجب ... وبما لا يجب ...

وكان محمد نجيب يأتى إلى مقر رئاسة مجلس الـوزراء فى شارع مجلس الشعب الآن ، ويصعد السلم المـؤدى إلـى

شرفة تسبق مدخل المبنى ، فيجد فى انتظاره فى هذه الشـرفة عددا من الصحفيين – وأنا منهم – فيلقى عليهم التصريحات ، ويدلى إليهم بالأخبار ، وأنا واقف بينهم بلا ورقة أو قلم فـى يدى ، أسمع ما يقول ، دون أن أكلف خاطرى بتسجيل كلمـة واحدة مما يقول ..

وتمت تسوية الأزمة بين أعضاء مجلس قيادة الثورة – بعد أحداث صعبة ومريرة – وتم الاتفاق فيما بينهم علـى أن يقتصر دور محمد نجيب على رئاسة الجمهورية ، فـى حين يتولى جمال عبد الناصر رئاسة مجلس الوزراء ... أو هـذا – على الأقل – ما أعلن من شروط التسوية وبقيت شروط أخرى لا يعرفها أحد ، وهى الشروط التى كنت أنا ضحية واحد منها.

وفى صباح أحد الأيام ، وبينما كان جمال عبد الناصر يعقد أول اجتماع لمجلس الوزراء برئاسته ، حضر إلى مقر مجلس الوزراء ركب الرئيس محمد نجيب الذى جاء خصيصـا لتهنئة جمال عبد الناصر بمنصبه الجديد. ودخل محمد نجيب إلى قاعة اجتماع المجلس– ونحن وراءه ومعنا عدد كبير من المصورين – لتسجيل الحدث الكبير ..

كان جمال عبد الناصر جالسا إلى رأس مائدة الاجتماع ، ووراءه مرآة كبيرة تعكس الأضواء الباهرة التى تنطلق من أجهزة التصوير ، وتقدم منه محمد نجيب فصافحه وقال له.

– مبروك يا عم جمال ..

هكذا قال له ... عم جمال .. ولقد ظلت هذه العبارة محفورة فى ذاكرتى من يومها حتى الآن لكثرة ما توحى به من دلالات..

.. فمحمد نجيب لم يكن "يقدر" أن يخاطب جمال عبد الناصر باسمه مجردا ، رغم أن الأول كان يحمل رتبة "لواء" بينما كان جمال عبد الناصر لا يزال يحمل رتبة "بكباشى".

ومحمد نجيب لم يكن "يريد" أن يخاطب جمال عبد الناصر بوصفه رئيسا لمجلس الوزراء ، فيقول له يا سعادة الرئيس ، لأنه كان ينظر إلى جمال عبد الناصر على أنه أحد أبنائه ، أو أخوته الصغار فى حسن الأحوال ..

لذلك اختار محمد نجيب عبارة "عم جمال" ليتجنب أن يناديه بجمال ، أو بسيادة الرئيس ..!!

ومع ذلك فإن هذه القصة خارجة عن سياق الحديث ، لذلك نعود فنقول أن محمد نجيب توقف عقب انتهاء الزيارة فى شرفة المبنى – كعادته – وتحدث إلى الصحفيين ، وأنا لازلت "مطيعا" لأوامر أنور السادات ، فلم أسجل من حديث رئيس الجمهورية حرفا واحدا ، ولم أنقل إلى جريدتى كلمة واحدة من كلامه.

وفى اليوم التالى ، استدعيت لمقابلة أنور السادات ، فلما دخلت عليه وجدته جالسا خلف مكتبه ، وهى أحدى المرات القليلة التى رأيته فيها فى حياتى جالسا خلف مكتب ، فقد كان الأثير لديه – ومنذ ذلك التاريخ – أن يجلس إلى جوار النافذة ،

أو فى مقعد على الشرفة، أو – فيما بعد – فى ظلال شجرة فى حديقة أحدى الاستراحات.

ونظر إلى فى صرامة شديدة ، وكان رحمة الله أكثر الناس قدرة على أن يضع على وجهه القناع الذى يريده ... وعندما يريده ...

وقال السادات :

– ما هذا الذى فعلته ..؟ لقد سببت لنا حرجا شديدا فى مجلس قيادة الثورة .. لقد اتصل "نجيب بجمال" وكان غاضبا غضبا شديدا لأن "الجمهورية" لم تنشر تصريحاته بالأمس ...

واستطرد السادات دون أن يسمح لى استطراده بأن أقول شيئا على الإطلاق ، وكان بالتأكيد يقصد ذلك :

– أن اتفاقنا مع نجيب على التخلى عن رئاسة مجلس الوزراء يقضى بأن يعامل معاملة رئيس الجمهورية كاملة ، وأن تنشر كل تصريحاته – بهذه الصفة – ولقد تصور من عدم نشرك لتصريحاته أمس ، أن "جمال" قد أخل باتفاقه معه ، وبأنه وراء منع الصحف من نشر ما يدلى به من تصريحات.

وتوقف السادات فجأة عن الحديث ، وكأنه انتهى من إلقاء بيان رسمى مكتوب ومعد سلفا ، وقبل أن استجمع نفسى لأقول له أننى أنفذ تعليماته هو ، عاد إلى النظر فى وجهى بعيون ثابتة ونطق بكلمتين اثنتين :

– أنت مفصول ..

ولم تكن لدى لحظتها القدرة على الكلام ، ولم يكن لكلامى قيمة حتى لو استطعت ..

وبدأ الأمر كله واضحا تماما ، فقد أصدر السادات أوامره لى - فى ظروف معينة - ونسى أن يعدل أمره بعد تغير تلك الظروف ، وكان لابد أن يتحمل غيره بتبعه ما حدث ، فكنت أنا القربان الذى قدمه لجمال عبد الناصر ..

فما أهون أن يذهب إليه السادات ليقول بوجه ثابت :

- أنها غلطة المحرر .. وقد فصلته ..!!

أتصور أن هذا هو ما حدث ، وأتصور أنه لم يراجع نفسه بعدها ... فيما حدث ..!!

مفتـرق طـريـق

بعد فصلى من عملى فى جريدة الجمهورية ، سافرت إلى فرنسا، والتحقت بمعهد العلوم السياسـية بجامعـة بـاريس ، للحصول على دبلوم الدراسات الأفريقية ..

كانت أفريقيا – فى ذلك الوقت – على سطح الأحـداث ، بما كان يشتعل فيها من ثورات للتحرر الوطنى ، ومـا كانـت تشهده ساحاتها من صراع مع قوى الاستعمار .. لذلك كانـت القضايا الأفريقية فى مقدمة اهتمامـات المشـتغلين بالحيـاة السياسية ..

وكانت حالتى النفسية تفرض على أن أتغيب عن مصـر لبعض الوقت بعد تجربة "فاشلة" فى مطلع حيـاتى العمليـة ، انتهت بفصلى من العمل قربانا من السادات على مذبح جمـال عبد الناصر.

وفى باريس ، كانت تصلنا مـن وقـت لآخـر صـحفا مصرية، علمت منها بزيارة للرئيس عبد الناصر إلى المملكـة العربية السعودية – ومعه السادات – انتهـت بـإعلان قيـام منظمة المؤتمر الإسلامى ، واختيار القاهرة مقرا لسكرتاريتها العامة ، وتعيين السادات سكرتيرا عاما للمنظمة ، فضلا عـن تعيينه وزيرا للدولة لشئون المؤتمر الإسلامى.

وكانت دراستى الأفريقية تهتم – فى بعض جوانبهـا – بأمور المسلمين فى القارة السوداء ودورهـم فـى مقاومـة الاستعمار ، واحتفاظهم بعاداتهم وتقاليدهم فـى مـأمن مـن الحضارة الغربية التى حاولت دول الاستعمار أن تنقلهـا إلـى بلادهم، وأن تجرهم إلى الامتزاج بها.

كانت بريطانيا ، وفرنسا التى ادرس فى أحدى جامعاتها، فى مقدمة الدول المستعمرة للقارة الأفريقية ، والمهتمة بما يجرى فيها ، بل والراصدة لدور الإسلام فى تشكيل "مزاجها العام" حتى أن الفرنسيين كانوا يطلقون على الإسلام فى أفريقيا "الإسلام الأسود" **L'islam noir** تمييزا له عن الإسلام فى بقية أنحاء العالم ، وتأكيدا على خصوصيات يختص بها فى القارة العذراء.

وعندما عدت إلى مصر – بعد انتهاء دراستى – تقدمت للعمل بالأمانة العامة لجامعة الدول العربية ، التى عينت فيها بدرجة "ملحق ثان" وهى أول وظائف السلك الدبلوماسى فى الجامعة ، وتلقيت تهنئة السيد / عبد الخالق حسونة الأمين العام للجامعة – فى ذلك الوقت – لاجتيازى الاختبارات اللازمة للتعيين ، وكانت تلك الاختبارات – وقتها – تتسم بشيء كثير من التشدد ، وشيء أكثر من المحاباة .

ووصل نبأ عودتى ، ودراستى ، وتعيينى فى الجامعة العربية إلى أنور السادات ، فاستدعانى لمقابلته فى مكتبه بالمؤتمر الإسلامى، ومعى كل ما عدت به من وثائق ومراجع تتعلق بالمسلمين فى أفريقيا.

وفى موعدى ، دخلت إلى حجرته فى مقر السكرتارية العامة للمؤتمر الإسلامى ، التى خصص لها قصر أحد أمراء الأسرة المالكة السابقة فى شارع حسن صبرى بالزمالك. وكان المبنى على الطراز العربى ، تحيط به حديقة واسعة ، مقامة على طرفها بعض الأبنية الملحقة ، التى كانت تستخدم كمكاتب لدائرة الأمير سعيد طوسون – صاحب القصر قبل مصادرته – ومسكن لناظر الدائرة.

وكان الدور الأول من القصر مخصصا للاستقبال ، بينما خصصت حجرات الدور الثانى "لمكاتب" أنور السادات وسكرتاريته ...

فأنور السادات - السيد السكرتير العام - كان له مكتبين ملحق بكل منهما حجرة للسكرتارية ، الأول "قبلى" مخصص لاستعماله فى الشتاء ، حيث تصطدم أشعة الشمس بزجاج الحوائط المغلقة ، فتكسب الحجرة دفئا طبيعيا ناعما يساعد على التدبر فى أمور المسلمين ... أما الثانى فهو "بحرى" متصل بشرفة فسيحة من الرخام الأبيض المزين بنقوش عربية، تتسلل منها النسمات المنعشات إلى داخل الغرفة فتحيلها روضة فيحاء ، حتى فى أشد أيام القيظ والهجير ..

كنا فى أحد شهور الصيف ، عندما دخلت مكتب أنور السادات، وكان جالسا على أحد المقاعد الوثيرة ، ويجلس بجانبه المرحوم الأستاذ أحمد عبد الغفار السكرتير العام المساعد للمؤتمر الإسلامى ، الذى قدمنى السادات إليه بعبارات تفيض ودا وبشاشة ، ووجه حديثه إلى قائلا :

- أنك لم تغب عنا طويلا .. وقد علمت بأنك تخصصت فى الدراسات الأفريقية فى فرنسا ..

وأجبت بالإيجاب ، واستطردت قائلا :

- أن اهتمام الأوروبيين بما يجرى فى الدول الأفريقية والنامية يفوق كل وصف ، لذلك فهم يدرسون كل ما يجرى فيها ، ويتابعون - على وجه الخصوص - دور الإسلام فى هذه الدول ، ويستخدمون أحدث العلوم فى رصد حركة انتشاره فيها ، وأخرجت من حقيبتى خارطة كبيرة تصور العالم ، وعليها نقط ملونة تصور عدد المسلمين فى كل دولة على

حدة، وتختلف الألوان باختلاف المذاهب التى ينتمون إليهـــا ، وهذه الخارطة مطبوعة فى فرنسا - باللغة الفرنسية - وتكفى نظرة واحدة إليها لكى تبين مدى انتشار الإسلام ، من استراليا شرقا إلى أمريكا اللاتينية غربا.

ومد السادات يده بالخارطة إلى الأستاذ أحمد عبد الغفار، وقال له دون أن ينظر ناحيتى :

- هذه الخارطة يجب أن تترجم إلـــى اللغـــة العربيـــة ، وتطبع ، وتوزع فى كل أنحاء العالم الإسلامى.

ولقد ظلت هذه الخارطة - بأصلها الفرنســـى - معلقـــة خلف مكتبه إلى وقت تصـــفية الســـكرتارية العامـــة للمـــؤتمر الإسلامى فى القاهرة ، وكان دائما يعتز بها ، ويطلع عليها كل من يزوره فى مكتبه.

وبعد أن أطلع السادات على بقية ما أحمل مـــن الكتـــب والوثائق ، وجه حديثه إلى فقال :

- منذ اليوم سوف تعمل معنا هنا فى المؤتمر الإسلامى وقد عينتك وكيلا لإدارة الاســـتعلامات ، التـــى تتـــولى جمـــع البيانات عن المسلمين فى كافة أنحاء العالم ، وتزويدهم بمـــا يحتاجون إليه من الكتب والأساتذة والمراجـــع ، كمـــا تنشـــر المعلومات عن نشاط المؤتمر الإسلامى على أجهـــزة الإعـــلام العالمية ، ومنذ اليوم فأنت المتحدث الصحفى باسم المؤتمر.

وقلت :

- ولكن ...

ولم ينتظر السادات حتى أكمل العبارات ، بل واســـتطرد يقول :

- واعتبر نفسك مدير الإدارة ، لأن مديرها - علوى حافظ - مشغول بأشياء أخرى ، وسوف تكون أنت المسئول أمامى عن كل نشاطها.

ونهض السادات - واقفا - إيذانا بانتهاء المقابلة - ومد يده إلى يصافحنى ، دون أن يترك لى فرصة لأقول رأيى فى عرضه ، أو حتى أشكره عليه ، أن كنت قد قبلته.

وكل ما استطعت أن أفعله ، هو أننى قلت للأستاذ أحمد عبدالغفار ، عندما مد يده لمصافحتى ، أننى سوف انتظره فى مكتبه.

وانتظرت فى مكتب الأستاذ حسونة حسيب ، سكرتيره فى ذلك الوقت ، ورئيس مجلس إدارة البنك العقارى العربى فيما بعد ، فلما انتهت مقابلته للسيد أنور السادات ، عاد إلى مكتبه واستدعانى للدخول عليه.

كان الرجل - رحمة الله - رقيقا وبشوشا ، وكان يتحدث اللغة الفرنسية بطلاقة ، فقد سبق له أن أقام فى فرنسا بضع سنين ، وقدم لى التهنئة على انضمامى لأسرة المؤتمر الإسلامى ، وتطرق مباشرة إلى تفاصيل العمل الذى سوف أقوم به.

ولم يكن أمامى إلا أن أقاطعه قائلا :

- أننى شاكر لمشاعر السيد أنور السادات ، لكننى كنت أتصور أن هذه الزيارة سوف تكون فقط زيارة مجاملة ، إذ المفروض أن أتسلم عملى فى الجامعة العربية خلال أيام بوظيفة "ملحق ثان".

ونظر إلى الأستاذ أحمد عبد الغفار نظرة حادة من خلف نظارته، حملت كل معانى الدهشة والاستغراب وقال :

– ولكن السيد السكرتير العام عينك في درجة "سكرتير ثان" وهي درجة تعلو درجتك في الجامعة العربية بثلاث درجات، ثم أن المؤتمر الإسلامي منظمة جديدة ، مجال الترقي والتقدم فيها مفتوح بغير حدود .. فإذا أضفنا إلى ذلك ثقة السيد أنور السادات في شخصك، وهي ثقة أكدها لي بعد خروجك من مكتبه ، فإنه يكون من "الجنون" أن ترفض مثل هذا العرض.

وكدت أقول له : أي ثقة هذه التي جعلته يفصلني من عملي في جريدة الجمهورية بغير ذنب اقترفته ، سوى حرصي على أن أطيع ما أصدره لي من أمر ، حتى وأن كنت غير مقتنع به !!

لكنني راجعت نفسي ، وأمسكت عن الكلام ، وتذكرت قول أمير الشعراء أحمد شوقي في أحدى قصائده : هذا بلد كل شيء فيه ينسى بعد حين .. واستأذنت في الانصراف ، على أن أعود في صباح اليوم التالي.

ومرت الساعات عصيبة ، وأنا حائر بين اختيار عملي في الجامعة العربية ، أو الاعتذار عنه والقبول بعرض السادات.

ولقد كان اتخاذ القرار بالغ الصعوبة ، كما كان – في حياتي – مفترق طريق انتهى بي إلى معاناة لا زلت أعاني من بعض آثارها حتى الآن.

وقبلت بالعمل في المؤتمر الإسلامي ، وأنا واسع الرجاء في أن أستطيع فيه ، أن أقدم جهدا متواضعا في سبيل خدمة الإسلام وتوحيد كلمة المسلمين من خلال هذه المنظمة الجديدة، وأغراضها السامية.

واستأذن القارئ في أن أنقل عبارة من كتاب أصدره أنور السادات في ذلك الوقت بعنوان " نحو بعث جديد " يشرح

فيه دوافع التفكير فى إنشاء منظمة المؤتمر الإسلامى ، والآمال العريضة المعقودة عليها ، بعد زيارته للسعودية مع جمال عبد الناصر:

" وبحث جمال أمور المسلمين فى كل مكان مع وفودهم .. فى الملايو .. وفى اندونيسيا، وفى المغرب ، وفى تركستان وفى أفغانستان ، ومع وفود من قلب أفريقيا ، ومن شواطئها .. كانوا جميعا يرون فى جمال أملا جديدا كبيرا . وتحدثوا معه وأفاضوا وتحدث هو وافاض .. وبعد .. على المسلمين فى كل بقاع الأرض أن يأملوا فى المستقبل .. فسوف يجدون سبيلهم إلى العدل ، والحق ، والعمل .. لأن مأساتهم أصبحت تحت أعين المناضلين الثوار اتباع محمد ، سيد المناضلين وراعيهم .. وهم لن يخطفوا المشعل ليطفئوه .. بل سوف يرفعونه عاليا لكى يضئ للملايين الطريق .. "

ولم يكن فى استطاعة شاب مثلى - فى ذلك الوقت - أن يتردد كثيرا فى قبول العمل بالمؤتمر الإسلامى ..

كانت الرسالة أكثر جلالا من رسالة الجامعة العربية ..

وكان العرض أكثر سخاء مما تقدر عليه الجامعة العربية التى تدار وفقا لأنظمة "وكادرات" لا يملك أن يخرقها رجل واحد بإرادته المنفردة ، مثلما كان الحال فى المؤتمر الإسلامى .. !! .

"ويدع الإنسان بالشر دعاءه بالخير ، وكان الإنسان عجولا".

(من سورة الإسراء)

فى انتظار اللقاء

بعد أسابيع قليلة من بداية عملى فى المؤتمر الإسلامى ، تعرضت مصر للعدوان الثلاثى فى عام ٥٦ ، ودارت معارك طاحنة فى سيناء ، وداخل مدينة بورسعيد ، وامتدت غارات الطائرات البريطانية لتصل إلى سماء القاهرة.

وكان واضحا أن الهدف هو إسقاط نظام جمال عبد الناصر بعد أن "تجرأ" وعقد صفقة الأسلحة مع تشيكوسلوفاكيا، ثم "تمادى" فأمم قناة السويس فى يوليو عام ١٩٥٦.

وكان هناك احتمالا واردا بأن يقصف الطيران البريطانى مقر إقامة جمال عبدالناصر، للتخلص منه ، وإنهاء المقاومة الشعبية التى أعلنها ، عقب خطابه الشهير من فوق منبر الجامع الأزهر.

وتطوع أنور السادات بإعداد مبنى السكرتارية العامة للمؤتمر الإسلامى ، ليكون مقرا بديلا لإقامة جمال عبد الناصر، وكان تقديره أن وجود المبنى وسط حى الزمالك ، وبالقرب من معظم السفارات الأجنبية ، يجعل من قصف الطيران له مغامرة لا تقدر عليها القوات الغازية.

وأعلنت حالة الطوارئ فى المبنى ، وتقرر أن يبيت فيه أحد المسئولين كل ليلة ليكون "ضابط اتصال" إذا استدعت الحالة انتقال جمال عبد الناصر إليه.

وفى هذه الأيام بالذات ، كانت السيدة جيهان السادات على وشك أن تضع مولودا ، بينما القاهرة كلها فى حالة اعتام، والمستشفيات كلها فى حالة طوارئ ، وأنور السادات

فى قمة الانشغال – مع بقية زملائه من أعضاء مجلس قيادة الثورة – بتداعيات الموقف العسكرى.

ووضعت السيدة جيهان مولودها – فى أحدى الليالى المظلمة – وكان أنور السادات إلى جانبها حتى اطمأن عليها وعلى المولود وكان الطفل غلاما اسماه "جمال" تيمنا بجمال عبد الناصر ... وربما اظهارا لوفائه له ، فى وقت كان فيه مصير جمال عبد الناصر والثورة بأكملها، ضرب من المجهول.

وكان السادات شديد التشوق إلى مولود ذكر ، بعد أن كانت ذريته السابقة كلها من الإناث ، سواء من زوجته الأولى، أو من السيدة جيهان.

وكان السادات شديد السعادة بالمولود ، رغم الظروف القاسية التى كانت تمر بها مصر، ويمر بها هو شخصيا ، نتيجة للعدوان الثلاثى على مصر.

وظهرت قمة السعادة فى الكتاب الذى أصدره أنور السادات بعد شهور قليلة من ميلاد الطفل ، وكان عنوانه " يا ولدى .. هذا عمك جمال " وكان الكتاب مزيجا من التعبير عن مشاعر البهجة بالمولود الذكر ، وتأكيد الوفاء – والولاء – لجمال عبد الناصر ، الذى سمى المولود باسمه . !

وفى هذا الكتاب بالذات نسب السادات نفسه للشيخ "السادات" واعتبر أبنه جمال حفيد أولياء الله الصالحين .. !!

وفى ساعة متأخرة من الليل ، اتصل بى فى مكتبى بالمؤتمر الإسلامى الأستاذ أحمد عبد الغفار – السكرتير العام المساعد – وأبلغنى بأنه تم الاتفاق على وقف إطلاق النار اعتبارا من منتصف الليل ، وطلب منى أن انتظره فى الصباح

حتى يحضر إلى مكتبه ، فلا أعود إلى بيتى للراحة بعد ليلة قضيتها ساهرا ، حيث طلب السيد أنور السادات عقد اجتماع عاجل ، من المقرر أن أشارك فيه.

وجاء أحمد عبد الغفار إلى مكتبه حوالى الساعة العاشرة أما السادات فقد وصل - كعادته - قرب الظهر ، وفى يده مظروف كبير بداخله مجموعة من الصور الفوتوغرافية ، تصور الخراب والدمار الذى تعرضت له مدينة بورسعيد.

وفى بداية الاجتماع ، طلب السادات طبع مليون نسخة من كتاب يضم هذه الصور باللغات المحلية فى أفريقيا وآسيا ، وهى - إلى جانب اللغة العربية - الأوردو ، والسواحيلى، والهاوزا .. الخ .

وأشار إلينا السادات بانتهاء الاجتماع ، فهذه هى تعليماته ، وعلينا نحن أن نقوم بالتنفيذ، فهو لا يحب أن يدخل فى التفاصيل.

واستكملنا اجتماعنا فى مكتب السكرتير العام المساعد ، وانتهينا إلى أن الحل الوحيد لإصدار هذا الكتاب - بكل هذه اللغات - هو طبعه على مطابع جريدة الجمهورية ، وأن تبدأ عمليات الترجمة على الفور.

ويعلم الله مقدار الجهد الذى بذله الزملاء العاملين معى حتى انتهينا من ترجمة الكتاب إلى عشر لغات أجنبية ، ومراجعة وطبع المليون نسخة المطلوبة فى وقت يعتبر قياسيا بكل المعايير.

وعندما عرضت النسخ الأولى من الكتاب على أنور السادات طلب منى أن أعد نفسى للسفر فى اليوم التالى -

مبعوثا خاصا له - إلى الأردن ، وسوريا ، ولبنان ، والكويت ، كما اختار بعض الزملاء الآخرين مبعوثين له إلى بقية الدول الإسلامية فى أفريقيا وآسيا.

وكان المطلوب منا هو مقابلة المسئولين فى هذه الدول وإطلاعهم على تفاصيل العدوان الثلاثى ، وما تعرضت له مدينة بورسعيد من دمار ، وتوزيع الكتاب الذى أعددناه على أوسع نطاق فى هذه الدول.

وقال لى السادات ، أنه سوف يعد خطابات إلى رؤساء الدول التى أزورها لتقديمها لهم، كما أنه سوف يبلغ سفراء مصر فيها لتقديم كل معاونة لازمة.

وإلى ما قبل موعد إقلاع طائرتى بساعات معدودة ، لم يكن السادات قد وقع الخطابات التى سوف أحملها لرؤساء الدول مما اضطرنى إلى التوجه إلى بيته - فى شارع الهرم - للحصول على توقيعه على هذه الخطابات ، ثم أتوجه مباشرة إلى المطار.

واستقبلنى فى صالون البيت ، السيد فوزى عبد الحافظ ، سكرتيره الخاص ، وأقرب المقربين إليه ، وموضع ثقته فى بيته ومكتبه على السواء.

واعتذر لى السيد فوزى عبد الحافظ بأن السيد السكرتير العام لم يرتد بعد ملابسه ، وأخذ منى الخطابات ، ليعود بها موقعة بعد لحظات، مع تمنيات السيد أنور السادات لى بالتوفيق.

وكان طبيعيا أن اسأل إذا كان السيد أنور السادات يرغب فى أى شيء أستطيع أن أحضره له من الخارج عند عودتى ،

فدخل فوزى عبد الحافظ مرة أخرى إلى حجرة السادات، وعاد ليقول لى أنه فى حاجة إلى لبن أطفال "لجمال" اسمه .S.M.A ولقد أصبح هذا النوع فيما بعد منتشرا على نطاق واسع فى مصر أما وقتها فكنت أسمع به للمرة الأولى.

واستطرد فوزى عبد الحافظ يقول :

- ويمكنك أن تعطيه للسفير فى بيروت ، ليرسله لنا بالحقيبة الدبلوماسية.

وودعت فوزى عبد الحافظ ، وانطلقت فى طريقى إلى المطار حيث بدأت المهمة التى كلفت بها ، واعترف بأن أول شيء فعلته عندما وصلت إلى مدينة بيروت هو أننى دخلت إلى أحدى الصيدليات واشتريت علبتين من اللبن المطلوب ، وأعطيتهما مباشرة إلى السفير المصرى اللواء عبد الحميد غالب لترسل بالحقيبة الدبلوماسية إلى القاهرة.

Islamic Congress

GENERAL SECRETARIATE 11, HASSAN SABRI STREET
ZAMALEK, CAIRO
PHONES : 802154 - 802155
808471 - 808763 - 808798

المؤتمر الإسلامي

السكرتارية العامة ١١ شارع حسن صبرى
الزمالك بالقاهرة
تليفون ٨٠٢١٥٤ ـ ٨٠٢١٥٥
٨٠٨١٧١ ـ ٨٠٨٧٦٣ ـ ٨٠٨٧٩٨

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة صاحب السمو الأمير عبد الله السالم الصباح

حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد ،

فيسرني أن أقدم الى سموكم الاستاذ أحمد طلعت وكيل ادارة الاستعلامات بالمؤتمر الاسلامي الذى يزور بلادكم الشقيقة فى مهمة تتعلق بالمؤتمر الاسلامى .

ويقيني أنه سيجد من عطف سموكم ورعايتكم ما يساعده على أداء المهمة التى حملناه اياها .

والله ندعو أن يوفقنا الى ما فيه خدمة الاسلام والمسلمين .

وتفضلوا سموكم فاقبلوا مزيد احترامي وتحياتي "

٢٨ جمادى الاولى ١٣٧٦ هـ

٣٠ ديسمبر سنة ١٩٥٦ م

السكرتير العام

(أنور السادات)

ولم أكن أدرى – وأنا أسارع إلى تأدية هذا الواجب – أن يكون موضوع "لبن الأطفال" أحد أسباب التوتر الشديد الذى أصاب علاقتى بأنور السادات فيما بعد ، على النحو الذى سوف أرويه تفصيلا.

المؤلف يقدم رسالة السادات
لسامي الصلح رئيس الوزراء اللبناني

وفى لبنان قابلت السيد سامى الصلح – رئيس الوزراء فى ذلك الوقت – ونجحت فى أن تقوم بعض الصحف اللبنانية بتوزيع "كتاب بورسعيد" كملحق خاص لإعدادها ..

ومن الأمانة أن أذكر أن السفير عبد الحميد غالب ، كانت له بعض التحفظات على توزيع هذا الكتاب فى لبنان ، فقد كان يرى أن الصور المنشورة فيه تمثل بشاعة العدوان

الثلاثى ، إلى الحد الذى قد يخيف القوى الوطنية فى لبنان ويثبط عزيمتها إذا ما فكرت يوما فى أن تدخل فى مواجهة مع قوى الاستعمار.

ومع تأكيدى للسفير أن هذه هى أوامر أنور السادات ، اضطر إلى قبول الفكرة ، وقدم لى كل ما كان مطلوبا منه من معاونة.

ولم يكن الأمر كذلك بالنسبة للسفير المصرى فى عمان ، اللواء محمد إبراهيم سيف الدين ، أو فى دمشق ، السيد / محمود رياض الذى أصبح بعدها وزيرا للخارجية فى مصر ، ثم أمينا عاما لجامعة الدول العربية ، فقد تقبل السفيران الفكرة بترحاب ، وعاونا فى توزيع الكتاب ، كما قام بدور هام فى هذا السبيل السيد عبد المحسن أبو النور، وكان وقتها ملحقا عسكريا فى دمشق.

أما الكويت ، التى لم تكن قد حصلت على استقلالها بعد، فلم تكن لمصر فيها سفارة ، وإنما كانت مهمتى فيها فى رعاية الأمير عبد الله المبارك الصباح - نائب الحاكم وقتها - والصديق الشخصى لأنور السادات ، كما كنت قد تشرفت بمعرفته قبل هذه الزيارة بسنوات ، ذات صيف فى لبنان.

وكان السادات قد طلب منى قبل سفرى ، أن أفتح موضوع المساعدات المالية المطلوبة لأسر شهداء بورسعيد ، عندما التقى بالأمير عبد الله المبارك فى الكويت.

وكنت أتوقع أن يبعث معى أنور السادات بهدية إلى "صديقه" عبد الله المبارك أقدمها له خلال لقائى به ، فلما لم

تخطر هذه الفكرة على ذهن السادات ، اضطررت إلى شــراء برواز من الفضة من سوق بيروت ، وضــعت فيــه صــورة فوتوغرافية لأنور السادات ، وقدمته إلــى عبــد الله المبــارك الصباح عندما استقبلنى فى مكتبه بدائرة "الأمن العــام" التــى سميت وزارة الدفاع فيما بعد.

وكان فى مجلس الأمير عدد كبير من أعيــان الكويــت وكبار المسئولين فى حكومتها عندما قــدمت إليــه الهديــة ، فأخرجها من علبتها - مزهوا - وقال للحاضرين :

- أننى اعتز جدا بصداقتى لأنور الســادات ، وســوف احتفظ بهديته هذه على مكتبى دائما.

وكان عبد الله المبارك يقصد من ذلك - بطبيعة الحال - أن يعلم الجميع مدى صلته الوثيقة بالثورة فى مصــر ، التــى كان بريقها فى تلك الأيام فى أوج لمعانه فى إمارات الخلــيج ، بعد تأميم القناة ومعركة بورسعيد.

وفى لقاء آخر انفردت فيه بعبد الله المارك فاتحته فــى موضوع المعونات المطلوبة لأسر شهداء بورسعيد ، فســلمنى شيكا بمبلغ خمسين ألف جنيه استرلينى محررا باســم الســيد أنور السادات ، وكان هذا المبلغ - وقتها - بالغ السخاء .

ولست أستطيع الآن أن أقطع بما إذا كان هذا الشيك قــد حصل لحساب المؤتمر الإسلامى ، أم أن السادات قــد رأى أن يوجهه وجهة أخرى ...

وعندما عدت إلى القاهرة ، وطلبت مقابلة أنور السادات تعلل السيد فوزى عبد الحافظ - كعادته - بشتى العلل ، ممــا

اضطرنى إلى أن أترك له الشيك ، فى انتظار أن يسمح وقت السكرتير العام بأن ألقاه لى أقدم إليه تقريرا عن مهمتى التى كنت أمثله فيها ، والتى كانت بالنسبة إليه بالغة الأهمية والاستعجال.

لكننى اكتشفت - فيما بعد - أننى كنت فى غاية السذاجة، وأن أنور السادات كان فى قمة الغضب منى لأسباب كان على أن اكتشفها وحدى ، فقد كان من عادته عندما يغضب، أن يحتفظ بأسباب غضبه لنفسه ، فلا يواجه بها صاحبها ، وغالبا ما تكون هذه الأسباب مجرد وشاية طائشة أو خديعة ملفقة.

وكان السادات من عادته أن يعطى عقله لكل من ينفرد بأذنه وأن يعطى قلبه لكل من يملأ هذه الأذن بالوشايات . !

زوبعة فى فنجان

استدعانى أحمد عبد الغفار ، السكرتير العام المساعد لمقابلته ، فاتجهت إلى المبنى الرئيسى الذى يقع به مكتبه ، وبينما أنا أصعد درجات السلم ، كان أنور السادات يهبط متجها إلى سيارته ، فالتقينا وجها لوجه ، وكان هذا هو اللقاء الأول منذ عودتى من مهمتى فى الدول العربية.

وقفت مكانى مفسحا له الطريق ، وبادرته بالتحية ، إلا أنه أدار وجهه إلى الناحية الأخرى فى هدوء ، واستمر فى طريقه دون أن يرد التحية.

وظللت واقفا فى مكانى بضع لحظات ، مذهولا بما حدث فلم يكن من الممكن أن أشك لثانية واحدة فى أنه قد رآنى ، وأنه قد تعمد أن لا يرد على تحيتى ، فلم يكن يفصل بين وجهينا سوى سنتيمترات معدودة ، كما أن الطريقة التى أدار بها وجهه – ببطئ شديد – كانت تدل على أنه واع تماما لما يفعل . !!

وأكملت الطريق إلى مكتب أحمد عبد الغفار ، ودماء الدنيا كلها تغلى فى عروقى.

واستقبلنى الرجل – يرحمه الله – بابتسامته المعهودة ، التى يمتزج فيها شيء من البشاشة بشئ من السخرية ، وبادرنى بقوله :

– أن أنور السادات شديد الغضب منك ..

– هذا ما لا أشك فيه، بعد أن التقينا الآن على السلم وجها لوجه، فأشاح بوجهه عنى، ولم يكلف خاطره بأن يرد تحيتى..

وقال أحمد عبد الغفار بابتسامة أكثر اتساعا :

- ماذا فعلت فى بيروت .؟ لقد تلقى السادات تقريرا من المخابرات بأنك أمضيت سهرة "صاخبة" هناك فى أحد الملاهى الليلة انتهت باقتيادك ومن معك من "السيدات" إلى مركز الشرطة .. (!!)

وكانت المفاجأة أكبر مما أتصور ، وكانت الحقيقة قد زيفت إلى حد يدعو إلى السخرية، بدلا من أن يدعو إلى الرثاء.

وشربت فنجان القهوة الموضوع أمامى فى هدوء ، وقلت له : دعنى أروى لك القصة من أولها ..

فقد اتصلت - وأنا فى بيروت - بصديق قديم لى يقيم هناك ، هو الأستاذ عبود فوده ، وكان عبود فوده رئيسا لقسم الأخبار فى جريدة الجمهورية أثناء عملى بها ، وكان صديقا حميما إلى جانب عملى تحت رئاسته .. ثم نقل للعمل مراسلا للجريدة فى بيروت ، حيث أقام مع زوجته هناك لسنوات طويلة، وكان من الطبيعى أن انتهز فرصة زيارتى للبنان للاتصال به لتحيته ، وكان من كرمه أن دعانى ليلتها إلى العشاء ، واتفق معى على أن يمر مساء بسيارته على الفندق الذى أقيم فيه ليصطحبنى إلى مكان العشاء.

وفى موعده ، حضر عبود فوده ، ومعه زوجته الفاضلة السيدة عايدة هلال ، وشقيقها ، وصديق مشترك لى ولعبود فوده هو الدبلوماسى العراقى قدرى الكيلانى ، الذى كان وقتها مستشارا للسفارة العراقية فى بيروت.

وانطلقت السيارة بنا – نحن الخمسة – إلى مطعم لبنانى يقع فى منطقة هادئة على مسافة بضع كيلو مترات من بيروت. يتخصص فى تقديم الشواء، حيث أمضينا سهرتنا هناك فى إطار من الصداقة القديمة والوثيقة.

قدري الجيلاني
مستشار السفارة العراقية ببيروت

وأثناء عودتنا إلى بيروت استوقفتنا دورية من رجال الجيش اللبنانى لتفتيش السيارة ، والإطلاع على "هوية" الركاب (أى بطاقاتهم الشخصية).

وكان لبنان وقتها يمر بظروف سياسية مضطربة ، انتهت فيما بعد باحتلالها بواسطة مشاة البحرية الأمريكية ، خلال ولاية الرئيس كميل شمعون.

لذلك فقد كان إجراء طبيعيا أن تتحقق دوريات الجيش اللبنانى من "هوية" الداخلين إلى العاصمة مساء ، وهو إجراء كان يمكن أن يمر بهدوء ، لولا أن صديقنا قدرى الكيلانى تمسك بحصانته الدبلوماسية ورفض عملية "التفتيش" هذه.

وتم اتصال تليفونى – من داخل نقطة الحدود – بقائد الشرطة العسكرية للجيش اللبنانى، الذى كان فيما اذكر الشقيق

الأصغر للواء فؤاد شهاب قائد الجيش اللبنانى وقتها ، ورئيس جمهورية لبنان فيما بعد ، وأسفر هذا الاتصال عن السماح للسيارة بالعبور فورا ، مع تقديم الاعتذارات الكافية للدبلوماسى العراقى الذى رفض "التنبيش" أى التفتيش باللهجة اللبنانية. !

ولم يكن من الصعب على أحمد عبد الغفار - بعد هذه الرواية - أن يتبين أنه لم تكن هناك سهرات صاخبة على الإطلاق ، ولم يكن هناك "اقتياد" إلى مراكز الشرطة ، وأن الحاضرين - كما ذكرتهم بالاسم - هم عبود فوده والسيدة الفاضلة زوجته وشقيقها ، الذين تفضلوا بدعوتى مع الدبلوماسى العراقى - صديقنا المشترك - إلى عشاء "برئ" فى مطعم هادئ خارج بيروت يقدم "الفراريج المشوية".!

وضحك أحمد عبد الغفار من أعماقه ، وطلب إلى أن اذهب فى الصباح لمقابلة السادات، لكى أقص عليه هذه الرواية بتفاصيلها ، فلابد أنه سوف يقتنع بها وينتهى الأمر.

ولما أبديت بعض التحفظات على استعدادى لمقابلة السادات بعد تجاهله لى - عندما التقينا على السلم - وإمساكه عن رد تحيتى ، عاد أحمد عبد الغفار إلى الضحك وقال :

- " ما تبقاش زعفرانى أمال .. " . !

ولم أكن أفهم وقتها معنى كلمة "زعفرانى" لكننى فسرتها بمعنى قريب من "عصبى" ، ووعد بأن يحضر هو نفسه لقائى بالسادات.

ولما هممت بالانصراف ، كانت تنتظرنى مفاجأة أكبر من سابقتها ، فقد استطرد أحمد عبد الغفار :

– بقيت مسألة أخرى صغيرة ، فإن السيد أنور السادات " واخد على خاطره منك " بخصوص مسألة "لبن الأطفال" الذى طلبه لجمال.

واستمر الرجل فى كلامه ، وسط ذهول انتابنى ، ولم أفق منه لساعات طويلة بعدها :

– لقد طلب منك السادات – ثقة منه فيك – أن ترسل إليه لبن مجفف يحتاجه ابنه جمال ، فإذا بك ترسل إليه علبتين فقط من هذا اللبن ، وهما تكفيانه بالكاد لمدة لا تزيد عن أسبوع .. والحقيقة أنه لم يكن يصح منك ذلك ، فقد اختارك الرجل – وأنت فى مطلع حياتك العملية – مبعوثا خاصا له ، وقدمك إلى رؤساء الدول وحكامها ، وكان ينتظر منك عناية أكبر بما طلبه من لبن مجفف يحتاجه طفله الوليد .. !!

وجاء دورى أنا لكى استغرق فى الضحك ، ربما بصورة هستيرية ، حتى استطعت أن أتماسك وأتهيأ " للدفاع عن نفسى " فى هذا الاتهام الجديد ، قلت :

أولا : أنا شاب أعزب ، ليست لى خبرة بما يحتاجه الأطفال وقد فهمت من حديث فوزى عبد الحافظ ، أن اللبن المطلوب هو نوع من الدواء ، ولم يكن إطعام الأطفال باللبن الصناعى شائعا وقتها ، لذلك فأننى تصورت أن المطلوب هو علبة من هذا الدواء وقد أرسلت علبتين.

ثانيا: أن تكليفى بإرسال "الدواء" عن طريق الحقيبة الدبلوماسية، قد ادخل فى روعى أن المطلوب هو سرعة وصوله.

ولم أكن أتصور – سذاجة – أن الحقيبة الدبلوماسية يمكن أن تكون هى الطريق الطبيعى لاستيراد غذاء الأطفال.

ثالثا : أننى – لو كنت تصورت كل ذلك – فما كان أحب إلى من أن أرسل كل ما تحتويه صيدليات بيروت من هذا "الدواء" ما دمت سوف لا أحمله على كتفى ، بل تتكفل بذلك "الحقيبة الدبلوماسية" المخصصة لأعمال وزارة الخارجية.

وكنت بريئا – وجادا فيما قلت إلى درجة جعلت أحمد عبد الغفار يستغرق فى الضحك من جديد ، بحيث بدى أنه قد فقد السيطرة على وقاره ، فلما استطاع أن يتماسك قال لى :

– دعك أنت من هذا الموضوع فى مقابلتك مع السادات غدا ، فلا تفاتحه فيه ، وسأتولى أنا عنك ذلك.

* * * * *

كان لقائى مع السادات فى اليوم التالى "سيناريو" يفتقد فقط المخرج ، حتى يصبح مسرحية "تراجيدية".

دخلت مكتب السادات فوجدته جالسا على مقعده المفضل بجوار الشرفة، وفى مقعد مجاورة يجلس السكرتير العام المساعد، أحمد عبد الغفار ..

وكان السادات واضعا على وجهه قناع الجد والصرامة ضاما شفتيه ، ومحدقا بعينيه فى وجهى .. ولم يأذن لى فى الجلوس ، فالموقف موقف "محاكمة" وكيف يسمح للمتهم أن يجلس فى حضرة قضاته . !

ورويت للسادات من جديد كل ما رويته بالأمس لأحمد عبد الغفار ، وأضفت موجها له الحديث :

– عبود فوده سيادتك تعرفه جيدا، فقد كان أحد العاملين معك فى جريدة الجمهورية، وأنت تعلم أنه كان رئيسى، فضلا عن أنه صديق..

وبيروت لكم فيها سفارة وسفير، ويمكنك أن تطلب منه تقريرا يؤكد لك كل حرف فى روايتى.. بأشخاصها.. وأحداثها.

أما تقارير المخابرات، فإذا كانت كل ما تستطيعه هو أن تلفق مثل هذه السخافات، وكل ما تهتم به هو أين أكل أحمد طلعت، وماذا أكل، فأنها - أى المخابرات - لا تكون فقط فاشلة بل وتافهة أيضا.

وقاوم السادات ابتسامة كانت سوف تعرف طريقها إلى وجهه بالنظر ناحية أحمد عبدالغفار وقال له :

- أبعت يا أحمد خطاب لطلب تقرير من غالب (السفير عبد الحميد غالب رحمه الله).

وكل من تابع خطابات السادات على شاشات التليفزيون فى آخر أيامه يمكنه أن يدرك الطريقة التى نطق بها هذه العبارة مؤكدا على حروفها، ومبالغا فى استخدام الحركة والسكون ...

وبعد أيام جاء تقرير السفير عبد الحميد غالب مؤكدا لكل حرف قلته، وكان الرجل سفيرا ناجحا، وموضع ثقة وتقدير من رجال الثورة، ولم يكن هناك أدنى شك فيما يقول، لذلك فقد اعتبر الموضوع منتهيا، وأبلغنى أحمد عبد الغفار بذلك وبأن السادات قد استعاد الثقة فى شخصى من جديد، خصوصا بعد أن علم بقصة "الصورة" التى قدمتها للأمير عبدالله المبارك الصباح نيابة عنه، وما أحدثه إهداء هذه الصورة للأمير من سعادة.

وكان تقرير المخابرات من الكويت قد وصله بعد وصول تقرير السفير عبد الحميد غالب ، وكان يتولى كتابة "التقارير" من الكويت رئيس البعثة التعليمية هناك الأستاذ عبدالمجيد مصطفى - رحمه الله - ويتناول فى تقاريره إلى المخابرات المصرية كل شاردة وواردة !

اختيار الرجال

كان السادات ، فى كل المناصب التى تقلدها ، محبا للتغيير السريع فيمن يعملون معه. فعندما تولى مسئولية الإشراف على جريدة الجمهورية لم يستقر أحد فى منصب رئيس التحرير أكثر من شهور قليلة ..

وفى أقل من عامين تناوب على رئاسة التحرير حسين فهمى ، وجلال الدين الحمامصى ، وكامل الشناوى ، وأحمد قاسم جوده ، وشغل هذه الوظيفة بالانتداب محمد صبيح ، وعبد السلام داود ، ورائد العطار ، وغيرهم ..

وفى المؤتمر الإسلامى ، تتابع على منصب السكرتير العام المساعد ، أمين شاكر ، وحسن التهامى ، وأحمد عبد الغفار ، وأحمد عبد الله طعيمة ، وتوفيق عويضه .. ولعل أحمد عبد الغفار كان أوفرهم حظا ، وأطولهم نفسا ..

وكانت السكرتارية العامة للمؤتمر الإسلامى تضم خليطا غريبا من الموظفين ، لا يجمع بينهم سوى أمر واحد ، هو أنهم جميعا من اختيار السادات شخصيا ..

وفيما عدا قلة من الفنيين من أمثال المرحوم الدكتور محمود محمد الصياد أستاذ الجغرافيا الشهير ، والدكتورة سعاد ماهر أستاذة الآثار الإسلامية ، فقد وزع السادات بقية مناصب السكرتارية العامة على عدد من معارفه – أو محاسبيه – لأسباب مختلفة.

* فمحمد أحمد – مأمور الضرائب – أصبح مديرا لمكتبه منتدبا من وزارة المالية ، وكان محمد أحمد ضابط

احتياط خلال الحرب العالمية الثانية وعين "قومندانا" لمعتقل الزيتون الذى كان السادات معتقلا فيه خلال الحرب بعد فصله من الجيش.

وكان محمد أحمد رجلا مهذبا ورقيقا بطبيعته ، وكان يختلف عن بقية الذين تناوبوا على قيادة المعتقل[1] فأراد السادات أن يرد له الجميل ، وأن يظهر بمظهر الوفاء الذى حرص دائما أن يراه الناس فيه ، فاختاره مديرا لمكتبه.

* وعلوى حافظ الضابط السابق - والنائب الوفدى فيما بعد - كان يسكن مع السيدة والدته فى ذات العمارة التى كان يسكنها السادات قبل الثورة فى منيل الروضة ، وكانت والدة علوى حافظ تعتبر السادات أخا أكبر لابنها ..

وعندما أصبح السادات سكرتيرا عاما للمؤتمر الإسلامى عين علوى حافظ فى المؤتمر بمرتب كبير .. وسلمه مفتاح سيارة مرسيدس ١٩٠ سوداء .. !!

* وعبد الخالق كامل - اللواء المتقاعد - كان السادات مرؤسا له خلال عمله بالقوات المسلحة ، فلما أحيل عبد الخالق كامل إلى التقاعد عينه السادات مديرا لإدارة المراسم بالمؤتمر الإسلامى لكى يستمتع - كل صباح - برؤية الرجل وهو ينتظره على باب المبنى ، ليفتح له باب السيارة ، ويسير وراءه حتى يدخل إلى غرفة مكتبه ..

* وحسن جعفر ابن المرحوم المستشار صالح بك جعفر الذى رزق به من زوجته الألمانية ، والأخ غير الشقيق

---

(١) البحث عن الذات - أنور السادات - ص ٧٢ .

للجاسوس الألمانى "هانز ابلر" عينه السادات وكيلا لإدارة المراسم ..

كان حسن جعفر زميل السادات فى معتقل الزيتون بعد القبض على شقيقه ، وكان هو الذى علمه اللغة الألمانية خلال إقامتهما فى المعتقل[1] واستمر يعطيه دروسا فيها بعد عودته إلى الجيش ، وكان السادات يرى فيه "ابن الذوات" الذى يصلح للعمل فى إدارة المراسم.

* وكامل عابدين – بلديات السادات – أصبح هو الآخر من كبار موظفى المؤتمر الإسلامى ، وكان مكلفا بمهمة "خاصة جدا" هى الإشراف على بناء مقبرة فى قرية ميت أبو الكوم – بلد السادات – لتنقل إليها رفات السيدة والدته ، التى توفيت ودفنت فى مقابر القرية، وأراد السادات أن يكرمها – بعد وفاتها – فقرر أن ينقلها إلى مقبرة خاصة.

* أما محمد زكى عصمت – الضابط السابق فى سلاح الفرسان – فقد كان ينحدر من أصل تركى ، ويتصل بقرابة للفريق عزيز المصرى الذى طلب من السادات أن يجد له عملا. وكان السادات لا يملك أن يرد طلبا للمرحوم الفريق عزيز المصرى ، لأسباب تعود إلى تاريخهما الطويل فى العمل ضد الحلفاء خلال الحرب العالمية الثانية[2]، لذلك فقد عين محمد زكى عصمت "تشريفاتى" فى السكرتارية العامة ، ثم

---

(١) البحث عن الذات – أنور السادات – ص ٥٠ ، ص ٦٨ .
صفحات مجهولة – أنور السادات – ص ٥٩ ، ص ٦٠ .
(٢) البحث عن الذات ص ٤٣ – صفحات مجهولة ص ٨٥ وما بعدها .

غضب عليه ففصله ، وكانت آخر وظيفة شغلها قبل إحالته إلى المعاش ومؤخرا هى رئيس هيئة التأمين والمعاشات.

وأستطيع أن استمر فى تسجيل قائمة طويلة بالأسماء – والأسباب – لولا أننى أضن بوقت القارئ ، وما دامت "النماذج" التى أعطيتها كافية لتوضيح الفكرة ..

ومع كل ذلك ، استطاعت المجموعة الصغيرة من الفنيين فى المؤتمر الإسلامى أن تفعل الشيء الكثير ..

استطعنا أن نترجم معانى القرآن الكريم إلى اللغة الصينية ، وأن نقيم اتصالا مباشرا بملايين المسلمين فى الصين ..

واستطعنا أن ندرس أحوال المسلمين فى الاتحاد السوفيتى ، وأن نستثمر الصداقة التى نشأت بين جمال عبد الناصر وزعماء الكرملين فى تسهيل السماح لأعداد متزايدة من مسلمى الاتحاد السوفيتى بأداء فريضة الحج فى الأراضى المقدسة ..

واستطعنا أن نوفد الأئمة وعلماء الدين إلى البرازيل .. وبورما .. واندونيسيا .. والملايو .. وشرق أفريقيا ..

واستطعنا أن نقدم منحا دراسية لطلاب من شتى أنحاء العالم الإسلامى للدراسة فى الأزهر ، وأقمنا لهم "مدينة جامعية" خاصة بهم فى منيل الروضة ..

واختار جمال عبد الناصر أنور السادات مبعوثا شخصيا له عندما قررت مصر أن تقوم بدور الوسيط فى النزاع الذى نشب بين باكستان وأفغانستان ، باعتبارهما دولتين إسلاميتين ..

وكان السادات يتشبه ، فى طريقة أدائه لعمله ، بالسكرتير العام لهيئة الأمم المتحدة ، ويعيش دور "يوثانت" فى ذلك الوقت، ولم يكن من الصعب عليه أن "يعيش" أدوار الآخرين، فهى موهبة لا يمكن أن يجاريه فيها أحد.

لذلك ، فقد استدعى السادات - ذات يوم - المهندس الشهير الدكتور سيد كريم ، وعهد إليه بوضع تصميم لمبنى جديد يخصص كمقر للسكرتارية العامة ، على غرار مبنى الأمم المتحدة فى نيويورك، وأجهد الدكتور سيد كريم نفسه فى وضع التصميمات المعمارية للمبنى الجديد ، إلى جانب نموذج مصغر للمبنى فى صندوق من زجاج ..

وطبع المؤتمر الإسلامى - على نفقته - تصميمات المبنى بالألوان فى مجلد أنيق ، وتوقف المشروع عند هذا الحد ، تماما كما حدث بالنسبة لمشروع إعادة بناء دار الأوبرا، بعد أن احترقت خلال حكم السادات ، ونشرت "الصحف القومية" صور السادات وهو يوقع باعتماد التصميمات النهائية للمبنى الجديد الذى لم يقم حتى الآن .. !! .

أنور السادات يرحب
بالسيدة دروثى طومسون

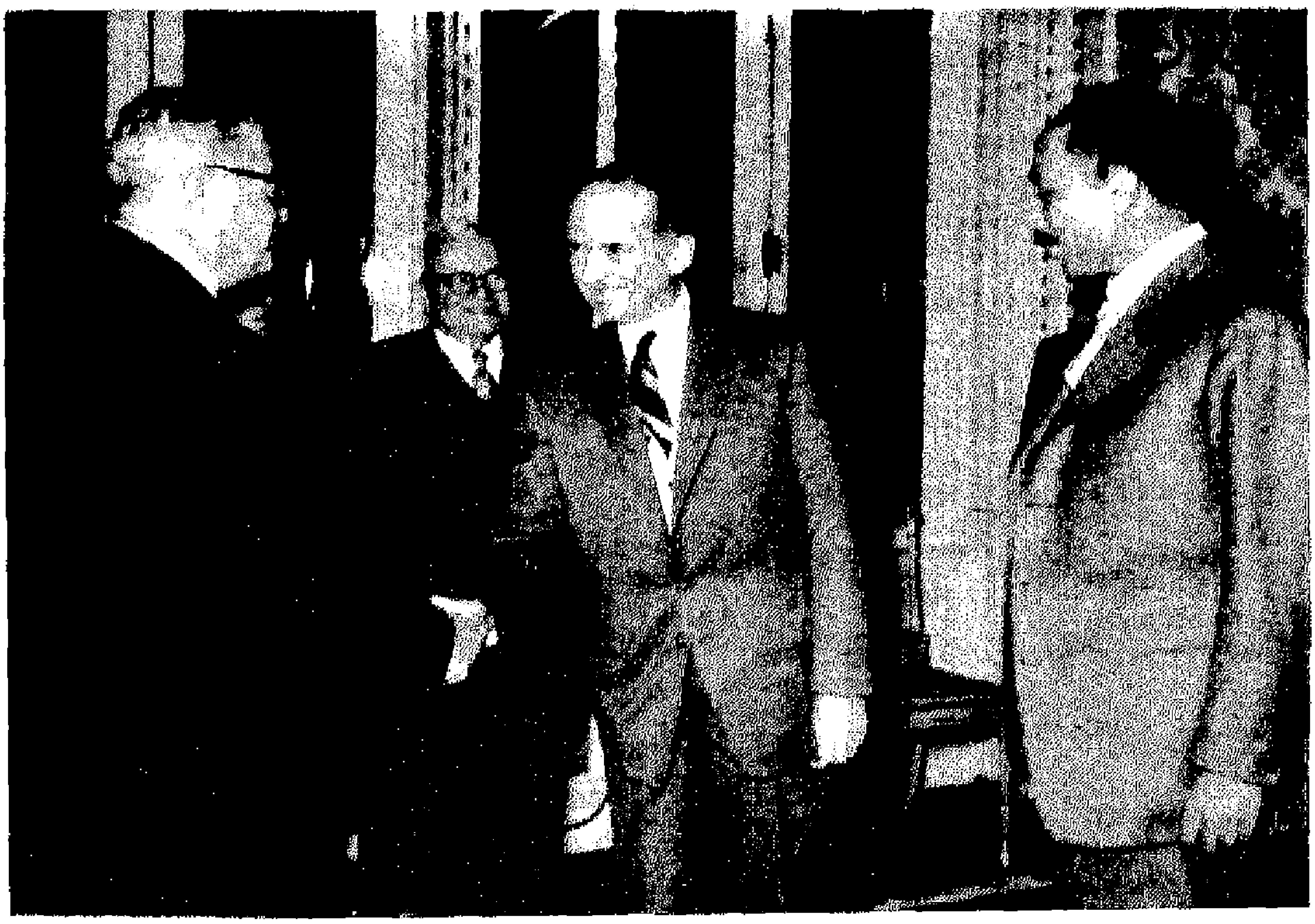

السفير الأمريكى رايموند هير
يصافح فكرى أباظة فى الأحتفال الذى أقامه السادات للسفير

الثائر الأسمر

نشرت أحدى المجلات الأسبوعية تحقيقا صحفيا عن جماعة دينية تسمى "شهود يهوا" ضمت فى عضويتها فنانة مصرية شهيرة، وبعض الشخصيات العامة، وتضمن التحقيق بعض التفاصيل عن أفكار الجمعية وطريقة ممارسة الطقوس بين أعضائها.

وقد أهتم أنور السادات بما نشر، خصوصا وأنه قد تضمن تلميحا إلى صلة بين هذه الجمعية والحركة الماسونية، وما يستتبع ذلك من صلة بالصهيونية العالمية. وطلب منى السادات أن أتصل بكاتبة التحقيق لكى أحصل منها على مزيد من التفاصيل، وأن أضع الأمر كله بين يدى الأجهزة المختصة بالمؤتمر الإسلامى لكى تدرس ما يمثله من خطر على الفكر الإسلامى.

وتفضلت السيدة الصحفية بزيارتى فى مكتبى، بعد اتصالى التليفونى بها، وقدمت لى كل ما كان فى حوزتها من تفصيلات..

كانت هذه هى المرة الأولى التى التقى فيها بالسيدة (م) وأن لم تكن الأخيرة، فقد أبدت اهتمامها بنشاط المؤتمر الإسلامى، وشرعت فى كتابة بعض التحقيقات الصحفية عنه، واقتضى ذلك أن تتردد أكثر من مرة على مكتبى وأن تناقش معى الكثير من التفاصيل.

وفى أحدى هذه الزيارات ، وكان عيد الفطر المبارك يأتى فى اليوم التالى مباشرة، دعتنى لزيارتها فى منزل أسرتها

لأتذوق "كعك العيد" الذى قالت بأنها متخصصة – ومتفوقة – فى صنعه ..
ولم أجد فى الأمر بأسا ، خصوصا وأن من مهمة رجل العلاقات العامة – وكانت هذه هى طبيعة عملى – أن يكون على صلة وثيقة بممثلى أجهزة الإعلام ..
وقدمتنى السيدة إلى أسرتها، واستضافتنى بكعك العيد.
وبعد تكرار اللقاء، فكرت فى أن أتقدم لخطبتها، بعد أن شعرت بأننى قد وصلت إلى سن تدفعنى إلى التفكير فى الزواج.
ولظروف تتعلق بالأسرة ، وبما كانت تفرضه علاقتنا من تكرار اللقاء، رأينا أن نعقد قراننا فى احتفال عائلى ضيق، انتظارا لسماح الظروف العائلية بإقامة احتفال أوسع فى مناسبة الزفاف.
واستأجرت شقة فى شارع يحيى إبراهيم بالزمالك، وهو الشارع الموازى لشارع حسن صبرى الذى يقع فيه مقر المؤتمر الإسلامى، وقدرت أن هذا الاختيار سوف يوفر لى القرب من مكان عملى، كما أنه لا يبعد كثيرا عن مكان عمل زوجتى المقبلة.
وشرعنا نتعاون فى تأثيث بيت الزوجية ، على مهل، وكان الظن بأننا لن ننتهى من ذلك قبل مضى عام على الأقل ..
وفى أحد الأيام جاءت السيدة (م) لزيارتى فى مكتبى وفى يدها "بروفات" لموضوع صحفى، قالت أنه سوف ينشر فى العدد القادم من المجلة التى تعمل بها، والذى يصدر بعد أيام.
ومددت يدى أتناول "البروفات" وما أن بدأت أطلع عليها حتى انتابنى الذهول ..

كان الموضوع بعنوان " مع الثائر الأسود فى بيته " وهو عبارة عن حديث أجرته السيدة (م) مع أنور السادات فى بيته [1] تحدث فيه عن حياته الخاصة ، وتضمن عبارات اعتبرتها قد فاقت كل الحدود ...

وقلت على الفور :

– متى تم هذا الحديث .. ؟ ولماذا لم أعلم به حتى الآن .. ؟ واستطردت فى انفعال :

– لقد كان من الواجب أن أعرف برغبتك فى عمل حديث مع أنور السادات ، لأقول لك أننى أتحفظ على ذلك ، لأننى أعمل معه ، ولا أحب أن يتصور أحد أن حديث تجريه معه زوجتى هو نوع من التقرب منه ، أو التزلف له ..

ثم أن فى عبارات هذا الحديث ما لا يليق أن يصدر عن سيدة متزوجة، حتى وأن كان ذلك من مقتضيات العمل الصحفى.

أننى رجل شرقى ولا تسمح تقاليدى بأن تجرى زوجتى حديثا تقول فيه عبارات مثل "وضحك أنور السادات فلمعت أسنانه البيضاء بين شفتيه" .. !! .

أو تقول " وكان يرتدى قميصا ترك بعض أزراره مفتوحة فظهر منه شعر صدره " .. !! .

وماذا يقول زملائى هنا فى المؤتمر .. ؟ وهل ألومهم إذا قالوا أننى أرسلت زوجتى لإجراء حديث مع رئيسى الذى أعمل معه ، حتى أوثق علاقتى به ، حتى ولو كان ذلك على حساب التقاليد الشرقية التى احترمها وأتمسك بها .. ؟! أم أن

---

(١) على طريقة أحاديثه مع " ابنته همت " .

المطلوب أن أقول للزملاء أن زوجتى قد أجرت هذا الحديث دون علمى ، وأن الزوج هو آخر من يعلم .. ؟؟

وكان واضحا من حديثى أننى فى أقصى درجات الانفعال، وأن الأمر يمثل بالنسبة لى موقفا لا أرضى به ، ولا يمكننى القبول به كأمر واقع ..

وبدأت السيدة (م) تدافع عن نفسها دفاعا هزيلا لا يقوم على منطق أو أسباب معقولة، فقالت بأنها قد طلبت الموعد " ونسيت " أن تخطرنى بذلك ، وفوجئت بأن الموعد قد حدد على وجه السرعة بحيث لم يتسع الوقت لإخطارى ..

وقالت أن العبارات الواردة فى الحديث ، هى من قبيل "التشويق" الصحفى ، وأنه لا تعارض بينها وبين التقاليد لأن السيدة الفاضلة زوجة السادات كانت حاضرة وقت إجراء الحديث ، وأنها رضيت به ..

وقالت أنه يدهشها أن تصدمنى مثل هذه العبارات ، مع أننى قد درست فى فرنسا ، وعايشت الحضارة الغربية ، وكان المفروض أن لا أحمل الموضوع بأكثر مما يحتمل .. !!

وقالت كلاما كثيرا آخر ، رفضته فى جملته وتفصيله ، وطلبت منها فى إصرار أن تسحب الموضوع من المطبعة ، وأن هذا هو حقى كزوج ، وهو حق أتمسك به ولا أتنازل عنه.

وتعللت بأن الموضوع لم يعد ملكا لها بعد أن سلمته لرئيس التحرير ، فضلا عن أن الوقت لا يسمح بسحبه ، بعد أن دارت بالفعل آلات الطباعة ، وانتهت من طبع معظم صفحات المجلة.

وقلت لها بإصرار ، وفى عبارات قاطعة :

– إذا نشر هذا الحديث ، فإننى مضطر – فى يوم نشره – أن أذهب إلى المأذون لأبعث إليك بورقة الطلاق ..

ولم تنطق السيدة "الصحفية" بكلمة واحدة ، وخرجت من مكتبى بأسرع ما تستطيع .

وعلمت – فيما بعد – أنها كانت قد أجرت اتصالا بالسادات بعد انصرافها من مكتبى ، أبلغته فيه بما حدث – وربما أضافت إليه شيء مما لم يحدث – وعلمت أيضا بأن السادات قد طلب منها أن تترك الحديث ينشر ، وسمعت – والعهدة على الراوى – أنه قال لها :

– إنه لن يجرؤ على تنفيذ شيء مما هددك به .. !!

وفى صباح اليوم الذى نشر فيه حديث " الثائر الأسمر " تغيبت عن مكتبى لمدة نصف ساعة ، أوقعت فيها الطلاق ، وعدت إلى مكتبى أزاول العمل كالمعتاد.

وفى اليوم التالى لنشر الحديث ، زارتنى السيدة (م) فى مكتبى فى محاولة لتسوية الموقف – على أساس الأمر الواقع – وكانت لا تزال تجهل أمر الطلاق ..

وكنت قد أعددت ورقة تسمح لها بأن تنقل متعلقاتها من البيت الذى كنا قد شرعنا فى تأثيثه ، وتقر فيها بأحقيتى فى الاحتفاظ بما أملك من محتوياته ..

وأخبرتها بما تم من طلاق ، وقدمت إليها الورقة فوقعتها، وخرجت هذه المرة وهى تحاول أن تخفى جرحا كبيرا شعرت بأنه قد أصابها فى الأعماق.

كانت الساعة قد بلغت الثانية عشر ظهرا عند انصرافها، وقد بقيت فى مكتبى حتى انتهاء مواعيد العمل فى الساعة الثانية ، ثم توجهت إلى بيتى فى مصر الجديدة ، وشرعت فى تناول طعام الغذاء .

وفى خلال هاتين الساعتين كانت الدنيا قد قامت ولم تقعد. وكان الانتقام الرهيب قد حلت ساعته ..

الانتقام الرهيب

بينما كنت أتناول طعام الغذاء ، دق جرس التليفون فـــى بيتى ، واخبرنى المتحدث من المـــؤتمر الإســـلامى ، بـــأننى مطلوب للعودة إلى مكتبى فى الساعة السادسة بعد الظهر.

ولم يكن استدعائى للعمل بعد الظهر أمرا يثير الدهشة بل كان أمرا مألوفا فى بعض أيام الأسبوع .

وذهبت إلى المؤتمر الإسلامى ، فوجدت فـــى انتظـــارى زميلا من الإدارة القانونية هو الأستاذ أسعد عبد السلام ، وكان بادى الاضطراب وهو يدعونى للجلوس ، ويحاول أن يشرح لى سبب الاستدعاء.

وفهمت أننـــى محـــال إلـــى التحقيـــق ، وأنـــه مكلـــف باستجوابى. فهونت الأمر عليه ، وقلت له أن هذا هو عمله ، ولا علاقة بين قيامه بواجبه وبين اعتبارات الزمالة والصداقة.

وبعد أن سجل الأستاذ أسعد عبد السلام اسمى وسنى فى أوراق التحقيق ، وجه إلى السؤال التالى :

س : ما هو موضوع الخلاف بينك وبين زوجتك .. ؟

وأجبت بأقصى درجة من التماسك ..

جـــ : أنه خلاف شخصى لا شأن لجهة عملى به ..

وعاد المحقق يسأل :

س : ولكن السيدة زوجتك تقدمت بشكوى إلـــى الســـيد السكرتير العام .

جـــ : أرجو إطلاعى على هذه الشكوى .

ووضع أسعد عبد السلام القلم على المكتب وقال لــى أن الشكوى كانت "شفوية" .. فطلبت منه أن يسجل ذلك.

س : هى تقدمت بشكوى شفوية.

جـ : وكيف يمكن أن يحقق معى كتابــة فــى شــكوى شفوية ..؟ أما أن تكون الشكوى كتابية فيحقق معى كتابــة ، وأما أن تكون شفوية فأسأل شفاهة ..

وعاد أسعد عبد السلام يضع القلم على المكتب من جديد ويقول لى :

- يا أخ أحمد .. أرجوك لا تحرجنى ، فــأن التعمليــات الصادرة لى تقضى بأن أحقق معك كتابة.

وقلت : حاضر .. سوف أجيب كتابة من أجــل خــاطرك أنت وسألت : ما هو مضمون الشكوى .. ؟

س : هى تقول بأنك قد طلقتها بغير ذنب جنته .

جـ : أن الطلاق هو حقى كرجل مسلم أجريه لأسـباب أقدرها وأسأل عنها أمام الله سبحانه وتعالى.

س : زوجتك تقول بأنه لا يزال بينكما مسائل مالية لــم تتم تسويتها بعد ..

جـ : لقد تمت تسوية المسائل الماليــة بيننــا بموجــب ورقة أحتفظ بها ، وإذا كانت تدعى بأن لها حقوقــا أخــرى ، فأنها تستطيع أن تطالب بها أمام القضاء .

س : ولكن ذلك يتعارض مع ما ينبغى أن يكــون عليــه سلوك موظفى المؤتمر الإسلامى.

جـ : فيما أعلم فإن هناك عشرات من الدبلوماسيين فى وزارة الخارجية بينهم وبين زوجاتهم قضايا طلاق ، أو نفقــة

أو طاعة ، ولم يقل أحد بأن ذلك يتعارض مع " ما ينبغى أن يكون عليه سلوك موظفى وزارة الخارجية ".

س : أبلغك قرار السيد السكرتير العام (أنور السادات) بإيقافك عن العمل.

جـ : علم .

ووقعت على صفحات التحقيق ، الذى عرضت فيما تقدم أهم أسئلته وإجاباته بصورة تكاد أن تكون حرفية ، وبقدر ما اسعفتنى الذاكرة بعد هذه السنين الطويلة.

ومن حق القارئ أن يتساءل ما ذا حدث خلال ساعتين من صباح ذلك اليوم ، حتى ينتهى الأمر فى آخر النهار بالتحقيق معى – كتابة – فى شكوى شفوية تقدمت بها مطلقتى، ثم بإبلاغى بقرار أنور السادات بإيقافى عن العمل – فى نهاية التحقيق – وقبل أن يعرض هذا التحقيق على أية جهة لتحاول أن نستخلص منه وجه الحقيقة ..؟!

وقد يلاحظ القارئ أن قرار الإيقاف عن العمل قد صدر قبل بداية التحقيق ، الذى لم يكن أكثر من مبرر لهذا القرار ..

وقد يلاحظ القارئ أيضا أن إيقاف موظف عن عمله لا يمكن أن يجيئ نتيجة لتحقيق يجرى فى شكوى زوجة الموظف، سواء كانت هذه الشكوى شفوية أو كتابية ، وإنما يأتى الإيقاف نتيجة لمخالفة يرتكبها الموظف فى عمله ، وأن تكون جهة العمل قد قدرت أن استمراره فى العمل يؤثر على سلامة التحقيق ..!

فما هى الصلة بين طلاقى للسيدة (م) وبين عملى بالمؤتمر الإسلامى ..؟ وما هى الآثار الضارة التى يمكن أن

يعكسها استمرارى فى العمل على التحقيق فى شكوى السـيدة (م) ..؟؟

قد يجيب على هذه الأسئلة ، ما حدث ذلك الصباح فيما بين الساعة الثانية عشر ظهرا ، والساعة الثانية بعد الظهر.

فقد خرجت السيدة (م) من مكتبى ذلك الصباح ، واتجهت مباشرة إلى بيت أنور السادات ، وكان يقع وقتها فـى شـارع الهرم ، فاستقبلتها على الفور زوجته السيدة جيهان.

وكانت السيدة (م) قد استطاعت أن توثق صـلتها منـذ أجرت حديث الثائر الأسمر ، ليس فقط بأنور السادات ، وإنما أيضا بالسيدة جيهان ، وأصبحت تتردد عليهـا فـى بيتهـا ، وتساعدها فى أن تقف على ما هو معروض فى محـلات بيـع ملابس السيدات ، وكان هذا بالذات تخصص السـيدة (م) فـى الجريدة التى تعمل بها.

كان عملها أن تتابع ما يعرض فى الأسواق من ملابـس السيدات وأن تحضر حفلات عروض الأزياء ، وأن تسـتخلص من هذا كله بابا ثابتا فى المجلة ، تتسـابق الزوجـات علـى قراءته ، ويتحمل الأزواج بالأعباء المادية المترتبة على هـذه القراءة ..!

وكانت السيدة جيهان السادات لا تجد متسعا من وقتهـا لمتابعة ما يعرض فى الأسواق ، فضلا عن أن ذلك قد لا يليق بزوجة وزير الدولة ، ورئيس الجمهورية فيما بعد ..

لذلك كانت السيدة (م) رسولا متجـولا للسـيدة جيهـان السادات تطلعها أولا بأول على كل ما هو شائق وجديد.

ومن هنا كانت العلاقة بين السيدتين قد توثقت ، بحيث تسمح للسيدة (م) أن تطرق باب بيت السادات فى أى وقت وأن تذهب إليه ذلك اليوم - ذارفة الدموع - لكى تجد السيدة جيهان فى انتظارها ، تخفف عنها صدمتها ، وتمسح لها دمعتها ، وتتصل على الفور بزوجها تليفونيا - وكان ساعتها فى مكتبه بمجلس قيادة الثورة فى الجزيرة - لتروى له ما اقترفه أحد موظفيه فى حق صديقتها من جرم عظيم ، وتطلب إليه أن يدرأ الظلم الواقع على السيدة (م) ..!

وعلى الفور رفع أنور السادات سماعة التليفون ، وأتصل بأحمد عبد الغفار السكرتير العام المساعد ، وأبلغه بقرار الإيقاف عن العمل ، وأمره بإحالتى إلى التحقيق.

وقد كان أحمد عبد الغفار - يرحمه الله - هوالذى روى لى كل هذه التفاصيل ، خلال زيارتى له فى بيته ، فى عمارات سيف الدين المطلة على شارع القصر العينى.

وقد انتقل الرجلان - السادات وعبد الغفار - إلى رحاب الله ، وبقيت أنا على قيد الحياة، لكى أروى هذه القصة وأتحمل بمسئوليتها أمام الله.

والحقيقة أن تأثر السادات بشخصية زوجته ، واستجابته لكل ما تطلب كانت قصة معروفة للجميع ، ومنذ ذلك التاريخ ، وهى قصة كانت تعانى منها بناته من زواجه الأول ، وكان ولا يزال يعانى منها أخوته الأشقاء وغير الأشقاء.

مَن الصنم .. ؟

بعد إيقافى عن العمل ، قمت بزيارة لصديقى وأخى الكبير الدكتور على الرجال المحامى ، ورويت له كل ما حدث ، وهو لا يكاد يصدق ما يسمعه منى ..

ووضعت الأمر كله بين يدى الدكتور الرجال، وطلبت منه أن يتخذ ما يشاء من إجراءات، وشغلت نفسى بوضع كتاب صدر لى فيما بعد بعنوان " المسلمون فى روسيا"، ثم سافرت لقضاء بضعة أيام فى لبنان أستريح فيها بعد كل ما حدث.

وكتب الدكتور على الرجال خطابا مسجلا لأنور السادات – السكرتير العام للمؤتمر الإسلامى – يشرح فيه ما تم من تجاوز لصحيح القانون ، ويطلب رفع الإيقاف وأعادتى إلى عملى على الفور، واستأذن فى أن أنقل هنا بعض فقراته ، فهو وثيقة على ما جرى من قبله، ومن بعده ..

" ويحب موكلى أن يذكر أمرا جوهريا آخر ، وهو أن مسلكه اسمى وأعلى من أى إتهام طوال خدمته ، وأنه ليس عليه إذا أبتلى بزوجة لم ترع حقوق الزوجية فكان جزاؤها ما رسمه الله من تسريح بإحسان ..

" وهذا أمر شخصى لم يكن له أية صلة بعمله فى المؤتمر وحال لا يد له فيها ..

"أو ليس من حقه بعد هذا أن يطلب رفع ما لحقه من حيف، وما حاق به من ضرر؟! وليس أقدر على رفع هذا الحيف وجبر الصدع من الهيئة الموقرة، هيئة المؤتمر الإسلامى.

"ويحسب الطالب ما ناله .. ومن حقه أن يرد إليه اعتباره وأن تفهم المطلقة أن سهامها الطائشة قد ارتدت إلى

صدرها ، وأن باطلها قد لقفته عصا المؤتمر ، فتقف من الكيد للطالب عند حد ، ولا تترك لضغنها عليه أو حزازات نفسها ، وما ينطوى عليه صدرها من حقد ، الحبل على الغارب بعد أن ترى أن أمد الباطل قصير ، وأن دولة الباطل ساعة ، ودولة الحق إلى قيام الساعة وحتى يقر فى ضميرها أيضا أن أية صلات لها – نتيجة لعملها الصحفى – لا يمكن أن تكون وسيلتها للحصول على غير الحق " .

وكانت هذه العبارات فى خطاب الدكتور على الرجال المحامى كافية للدلالة على المراد منها ، وتلميحها يكاد يصل إلى حد التصريح بالدوافع التى كانت وراء إيقافى عن العمل ، ثم جاءت الفقرة التالية لتزيد الأمر وضوحا ، وتكشف كل ما استتر ..

"ولذلك قلنا أن القرار صدر سابقا لأوانه، ومخالفا لكل القواعد القانونية بل والشرعية، فالوقف يجب أن يأتى نتيجة للتحقيق، ولا يجئ التحقيق نتيجة للوقف، والله تعالى يقول (يا أيها الذين آمنوا أن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) هذا هو حكم الله وحكم الناس.. وقد جاء القرار مخالفا للحكمين معا .. ولذلك يتعين إلغاؤه فورا، وكفى بالطالب ما يلقاه من عنت، ولا يصح أن يكون هدفا لمطلقته بالباطل، ولا يجوز أن يلقى هذا الباطل من جانبها سميعا أو مجيبا"..!

كان إيقافى عن العمل بتاريخ ١٣ نوفمبر ١٩٥٧، وكنت أسميه عيد الجهاد الأصغر ..

وكان خطاب الدكتور على الرجال مؤرخا فى ١٧ نوفمبر ١٩٥٧ فماذا جرى بعد ذلك .. ؟

المؤتمر الإسلامي

السكرتارية العامة

١١ شارع حسن صبري ـ بالزمالك

رقم القيد ١٢٢١/١
٢٧/٥/٦٢

السيد / أحمد طلعت

٣٥ شارع دمياط ـ مصر الجديدة .

تحية وبعد .

بناء على ما قرره السيد السكرتير العام بعد الاطلاع على التحقيق في الشكوى المقدمه من السيدة حرمكم ـ ونظراً لان ماصدر منكم يخل بما ينبغي بأن يكون عليه سلوك موظفي المؤتمر وان كان الامر يتعلق بامورهم الشخصية .

ونظرا لما ثبت من أن المستند الذى دار حوله النزاع الشخصي قد تم توقيعه بادارة الاستعلامات بالمؤتمر الاسلامي وفي ساعات العمل الرسمية .

ونظرا لسفركم الى خارج القطر بغير اذن .

تقرر فصلكم من الخدمة اعتبارا من ١٣/١١/١٩٥٧ (تاريخ ايقافكم من العمل .)

واقبلوا التحية ،،،

مدير الشئون الادارية

٧/١٢/١٩٥٧

وصلنى خطاب مؤرخ فى ٧ ديسمبر ، وموقع من مدير الشئون الإدارية ، يتضمن قرار السكرتير العام بفصلى من العمل اعتبارا من تاريخ الإيقاف ، وفيما يلى نص الخطاب :

" بناء على ما قرره السيد السكرتير العام بعد الإطلاع على التحقيق فى الشكوى المقدمة من السيدة حرمكم ، ونظرا لأن ما صدر منكم يخل بما ينبغى بأن يكون عليه سلوك موظفى المؤتمر وأن كان الأمر يتعلق بأمورهم الشخصية.

" ونظرا لما ثبت من أن المستند الذى دار حوله النزاع الشخصى قد تم توقيعه بإدارة الاستعلامات بالمؤتمر الإسلامى وفى ساعات العمل الرسمية.

" ونظرا لسفركم إلى خارج القطر بدون إذن.

" تقرر فصلكم من الخدمة اعتبارا من ٥٧/١١/١٣ (تاريخ إيقافكم عن العمل) " .

فالفصل إذن يقوم على أسباب ثلاثة :

الأول: شكوى "السيدة حرمكم " وهى الشكوى الشفوية، التى لم أطلع عليها ولا أعرف مضمونها.. مع اعتراف من المؤتمر بأن الأمر يتعلق "بأمورهم الشخصية "..!

الثانى: أن المستند الذى دار حوله النزاع الشخصى قد "وقع" فى ساعات العمل الرسمية.. فلو افترضنا أن هذا "التوقيع" قد استغرق خمس أو عشر دقائق ، فإننا نستطيع أن ندرك مدى التناسب بين "الخطأ" والعقاب، وهو فصل موظف من عمله لأنه أضاع خمس دقائق من وقت العمل . !

والثالث : وهو السفر إلى خارج القطر بدون إذن ... ولازلت أتساءل عن الجهة التى كان مفروضا أن استأذنها ، وأنا موقوف عن العمل ، فلا اتصل بأحد ، ولا يتصل بى أحد ..

ولكن هل كانت هذه هى الأسباب الحقيقيـــة وراء قــرار الفصل ، أم أنـها كانت مجرد "واجهة" تستتر وراءها الــدوافع الحقيقية .. ؟

لقد رأى السادات أن موقفى من حديثه مع الســيدة (م) وإصرارى على عدم نشره هو تجاوز "لقدرى" وتطــاول علـــى "قدره" حتى وأن كنت أمارس حقا شرعيا من حقوق الزوج.

ورأت السيدة جيهان السادات ، أن طلاقى لصديقتها بغير رضاها ، حتى وأن تمردت على طاعة زوجها ، جريمة كبــرى تستحق أشد العقاب .. وربما تستحق تعديل القانون .. !!

ورأى السادات من موقفى فى التحقيق، ثم من ســفرى إلى الخارج علامة على إصــرارى علــى عــدم التراجــع أو الاعتذار.

ثم جاء خطاب الدكتور على الرجال بما فيه من إشارات إلى أن "صلات" السيدة (م) – نتيجة لعملها الصــحفى – هـــى وسيلتها للحصول على غير الحق ، جاء هذا الخطاب بمثابــة القشة التى قصمت ظهر البعير – كما يقولون – لأنه كان يعنى أن السيدة جيهان السادات وراء كل ما جــرى ، وهــو مـــا لا يطيق السادات أن يسكت عليه ، أو يدعه يمر بغير انتقام.

كان هذا هو ما اخبرنى به أحمد عبد الغفار، الذى ظل – رغم كل شيء – محتفظا بعلاقته الشخصية معى ، وأن كان قد حرص على أن تظل هذه الصداقة فى طى الكتمان.

وكان أحمد عبد الغفار رجلا ذكيا بكل المقــاييس ، كمــا كان يحب أن يظهر فى صورة السيد المهذب "الجنتلمان".

وقد استطاع أحمد عبد الغفار أن يستمر في العمل سكرتيرا عاما مساعدا للمؤتمر الإسلامى لأطول فترة عرفها هذا المنصب رغم ما كان معروفا عن أنور السادات من حبه للتغيير السريع فيمن يعملون معه ، بعد أن استخدم "ذكاءه" فى كسب ثقة السادات.

فقد تصادف فى بداية عمل أحمد عبد الغفار بالمؤتمر الإسلامى، وكان إلى جانب ذلك عضوا منتدبا للبنك العقارى العربى تصادف أن أحيل السيد / صفوت رؤوف – والد السيدة جيهان السادات – إلى التقاعد من عمله كمبخر فى وزارة الصحة ، والتقط أحمد عبد الغفار هذا الخيط وعين صفوت رؤوف سكرتيرا عاما للبنك العقارى العربى ..

كان اللقب يتناسب مع صهر وزير الدولة وسكرتير عام المؤتمر الإسلامى ، وكان الراتب الشهرى يسمح للأسرة بأن تعيش فى المستوى الذى يحب السادات لأسرة زوجته أن تعيش فيه ..

وكان ما فعله أحمد عبد الغفار "ضربة معلم" ضمنت له أن يحتفظ بموقعه إلى جانب السادات ، مادام صهر السادات محتفظا بوظيفته فى البنك العقارى.

وكان من ذكاء أحمد عبد الغفار أيضا أن يحتفظ بعلاقته مع "الخارجين" على أنور السادات حتى يظل على علم بالصورة من كل جوانبها ...

* * * * *

بعد وصول خطاب الفصل، اتصلت بأحد زملائى فى إدارة الاستعلامات، وأبلغته بأننى سوف أحضر فى صباح الغد لنقل متعلقاتى الخاصة التى تركتها فى مكتبى قبل إيقافى عن العمل.

وفى اليوم التالى ، ذهبت إلى مبنى المؤتمر وادهشنى أننى لم أر أحدا فى طريقى إلى الحجرة التى كان فيها مكتبى ، وكأننا فى يوم عطلة رسمية.

وخلال الساعة التى أمضيتها فى جمع أوراقى الخاصة ، لم يدخل أحد إلى الحجرة ، ولم يكلف أحد من زملائى السابقين خاطره أن يأتى لوداعى قبل أن أغادر مكتبى لآخر مرة.

وأدركت على الفور أنه ما من أحد كان يحب أن يخاطر بتحية رجل مغضوب عليه ، ومفصول بأمر مباشر من السكرتير العام.

واسترجعت فى نفسى قول الشاعر .

من خانه الدهر خانته صنائعه
وصار ذنبا له ما كان إحسانا
والحظ يبنى لك الدنيا بلا عمد
ويهدم الدعم الطولى إذا خان

رجل واحد لم يتغير هو "عم حبشى" فراش مكتبى ، الذى جاءنى بفنجان القهوة كالمعتاد ، ثم حمل حقيبة تضم أوراقى الخاصة وتبعنى بها إلى سيارتى ..

وعندما ألقيت عليه التحية قبل أن أنطلق بالسيارة ، لاحظت أنه يكبت دمعة فى عينيه ، وأن الدمعة قد جرت على خديه دون أن يدرى .. وكان وجه عم حبشى هو آخر ما ودعت فى مبنى المؤتمر الإسلامى ..

وعندما صدر كتابى "المسلمون فى روسيا" كان يحمل الإهداء التالى[1]:

" من الناس من يغلق على نفسه الأبواب، ويضع على مكتبه عشرات الأجراس والتليفونات، وفى حجرة مجاورة يجلس المحاسيب والأتباع، يحمل كل واحد منهم لقب سكرتير..

"وعلى الباب الخارجى تنتظر السيارات الفارعة لتعود بالصنم إلى بيته بعد ساعات قليلة، قضاها فى مكتبه المكيف الهواء.

"ومن الناس من يشقى النهار بطوله يمسح الأرض، وينظف المكاتب، ويكحل بالتراب قسمات وجهه من أجل لقمة العيش.

"إلى واحد من هؤلاء الكادحين ، لن تمحى من مخيلتى صورته والدموع تترقرق فى عينيه يوم غادرت مكتبى بالمؤتمر الإسلامى لآخر مرة ..

" إلى حبشى (الفراش) أهدى هذا الكتاب تقديرا منى لعمله المتواضع ووفائه العظيم .. ! ".

ووصلت نسخة من الكتاب إلى أنور السادات ، فطار صوابه وظل يردد أمام حاشيته ، والمحيطين به :

- الولد يقول عنى أننى صنم .. !

(١) المسلمون فى روسيا - أحمد طلعت - بيروت ١٩٥٨

رضاء المسئولين

أثار إهدائى لكتاب " المسلمون فى روسيا " إلى حيشى الفراش غضب أنور السادات ، وتطوع البعض فنقلوا إليه أننى أشن حملة قاسية عليه ، وأننى لا أكاد انقطع عن الحديث عنه بصورة تسيء إلى شخصه فى نادى الجزيرة ..

والحقيقة أننى - فيما عدا إهداء الكتاب - لم أكن قد تعمدت نقده أو الهجوم عليه ، وكل ما حدث هو أننى كنت مضطرا لأن أروى لكل من كان يسألنى عن أسباب فصلى من المؤتمر الإسلامى ، القصة كما حدثت بكل تفاصيلها.

وكنت أحتفظ معى دائما بصورة من خطاب فصلى ، أطلع عليه كل من يسألنى وأقول ببساطة :

- لقد فصلت لأننى طلقت "السيدة حرمى" ..

أو أقول بسخرية :

- أما أن أقبل بأن تجرى "السيدة حرمى" حديثا مع الثائر الأسمر، وأما أن يفصلنى "الثائر الأسمر".

ونشطت إدارة المباحث العامة فى جمع ما أقوله عن أنور السادات، وكتابة تقارير تتضمن أسماء من أقابلهم، ومن أتحدث إليهم، وأصبح لى فى وزارة الداخلية ملف ضخم، تغذيه بالمعلومات - من حين إلى آخر - السيدة (م) شخصيا، وكانت فى ذلك الوقت على الأقل تعمل فى خدمة المباحث العامة وتنقل إليها كل ما يدور من الأحاديث الخاصة بين الصحفيين، وما يهم المباحث العامة من أخبارهم..

وفى أحد الأيام تلقيت استدعاء لمقابلة "الصاغ فتحى مأمون"[١] فى إدارة المباحث العامة، وكنت بطبيعة الحال لا أعرفه.

وذهبت فى الموعد المحدد لى ، فطلبوا منى الانتظار فى غرفة ملحقة بمكتبه لمدة زادت عن الساعة ، ثم دعونى لمقابلته وقد فهمت فيما بعد ، أن الانتظار هذه المدة كان وسيلة مقصودة لاتهيأ نفسيا لهذه المقابلة ، بعد أن يكون القلق قد تملك كل مشاعرى ..

ودخلت الحجرة ، فوجدت الصاغ فتحى مأمون جالسا خلف مكتبه يتصفح ملفا مملوءا بأوراق يزين حافتها شريط ملون ، فبعضها يزينه شريط أحمر ، والبعض الآخر أخضر ، والثالث أصفر وهكذا ، بحسب أهمية المكتوب فى الورقة ..

وأشار إلى الرجل بيده لكى أجلس ، دون أن ينظر إلى وجهى ، وظل بضع دقائق أخرى يقلب فى صفحات الملف ، ثم أغلقه ووضعه أمامه على المكتب ونظر إلى وقال :

- أنت أحمد طلعت .. ؟؟

- نعم ...

- يا سيد أحمد .. أن سلوكك لا يرضى المسئولين ..

قلت :

- ومن قال لك يا سيدى أننى أريد أن يرضى سلوكى المسئولين .. ؟

---

(١) أصبح فتحى مأمون بعد ذلك بسنوات صديقا عزيزا اعتز بصداقته. !

وبدت الدهشة على وجهه وقال :

– كيف .. ؟ المفروض أن كل مواطن يحرص على أن يكون سلوكه موضع رضاء المسئولين ..

قلت :

– أسمح لى يا سيدى أن أقول لك بأمانة أننى أحرص على شيء واحد، هو أن يكون سلوكى فى إطار القانون، فلا أخرج عليه، ولا أخالفه، أما المسئولين فلا علاقة لى بهم، يرضون أو يغضبون، هذا شأنهم ، مادمت لا أخرج على القانون.

وتمالك الرجل نفسه وقال :

– أنك تسيء إلى سمعة السيد أنور السادات ، وتتحدث عنه مع كل من تقابلهم ، خصوصا من الأخوة العرب ..

وقلت بغير تردد :

– أما أننى أتحدث عنه مع كل من أقابلهم فهذا صحيح، وصحيح أيضا أننى أروى لهم كيف فصلت من عملى فى المؤتمر الإسلامى.. فإذا كان ما أرويه يسئ إلى السيد أنور السادات فإنه يكون هو الذى اختار ذلك لنفسه.. هو الذى أصدر قرار الفصل، ولابد أنه يتوقع منى أن أشرح لماذا فصلت..

ولابد أن فتحى مأمون قد أدرك أنه لا فائدة من الحديث معى فتركنى انصرف، وعلمت فيما بعد أنه وصفنى لصديق يعرفه بأننى : رجل مجنون بغير شك .. !

ورفعت التقارير إلى أنور السادات ، وانضمت إليها وشايات تضيف إليها وتبنى عليها، وكان – يرحمه الله – شديد الصبر على سماع الوشايات ، وشديد التصديق لما يسمع ..

ووجه السادات خطابين ، احدهما إلى وزير الداخليـــة - وكان وقتها زكريا محيى الدين - والثانى إلى النائب العام .

فأما الخطاب الموجه إلى وزير الداخلية ، فقد ترتيب عليه وضع أسمى فى "القوائم السوداء" فلا التحق بعمل ، ولا أسافر إلى خارج البلاد .

وأما الخطاب الموجه إلى النائب العام فقـد أحيـل إلــى رئيس نيابة شمال القاهرة -المستشار محمد الصادق المهدى- الذى باشر التحقيق معى بتهمة السب والقذف فى حق السـيد أنور السادات .. !

كان خطاب أنور السادات إلى النائب العام مـؤرخ فـى ٥٨/٨/١٩ فأحاله النائب العام إلى رئيس نيابة شمال القـاهرة برقم ٣٠٢/٧٠٢ بتاريخ ١٩٥٨/٨/٢٥ .

ويعلم المشتغلون بالقانون جميعا أن التحقيق فى بلاغات القذف والسب ، لا يقتضى القبض على المتهمين فيها ، لكـن النيابة العامة - فى هذه المرة - خرجت على القاعدة ، فـأمر السيد رئيس النيابة " بضبط وإحضار المتهم " .. ! [1] فـالمبلغ شخصية هامة ، والمبلغ ضده موظف مفصول مـن عملـه ، والبلاغ محول من مكتب النائب العام .. !

وباشر التحقيق معى الأستاذ أنطون باسيلى وكيـل أول النيابة وقتها ، ورئيس محكمة جنايات بالقاهرة فيمـا بعـد ، وأشرف على التحقيق منذ بدايته المستشار حسين محمد زكى رئيس النيابة كما هو مسجل بخط المحقق فى صفحة ١٥ مـن ملف التحقيق.

---

(١) ص ١٣ من محضر التحقيق.

وسبحان الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم ، فقد ظللت طوال التحقيق متماسكا ، رغم كل ما كان يحيط به من مظاهر وإجراءات غير عادية ، وما كانت تضفيه شخصية أنور السادات عليه من أهمية خاصة ..

وقد انتهى التحقيق يوم ٥٨/٨/٢٦ -اليوم التالى مباشرة لوصول خطاب النائب العام- بقرار من المحقق هذا نصه:

" نأمر بالقبض على أحمد محمود طلعت وحبسه أربعة أيام احتياطيا ويراعى التجديد فى الميعاد ".

ونقلت إلى سجن القلعة ، الذى أمضيت فيه ثلاثة أسابيع كنت خلالها استدعى بين الحين والآخر بحجة استكمال التحقيق بمعرفة النيابة العامة ، وحتى يقوم المبرر القانونى لديها لطلب تجديد الحبس " فى الميعاد " .. !

كان التحقيق بمعرفة النيابة العامة فرصتى الذهبية لكى أسجل كتابة وفى أوراق رسمية كل ما حدث بينى وبين أنور السادات مما رويته فى هذا الكتاب ، ومما لم أروه حفاظا على حرمة الأموات ..

وكنت فى كل مرة استدعى فيها لاستكمال التحقيق أضيف جديدا إلى أقوالى ، وكانت فترة الحبس فرصة سانحة أتذكر فيها كل ما غاب عن ذاكرتى فى زحمة الأحداث.

ومن جانبه، فقد أضاف أنور السادات إلى أوراق التحقيق -خلال تلك الفترة- كل ما تصور أنه يمكن أن يحكم الخناق من حولى، فما من رسالة وصلته من صديقه الأمير عبدالله المبارك الصباح، تشير إلى أسمى من قريب أو بعيد إلا وضمها إلى أوراق التحقيق، وما من تقرير من المخابرات ورد إليه إلا

وبعث به إلى النائب العام، وتشعب التحقيق فى هذه القضية وامتد إلى وقائع هزيلة اخترعتها تقارير المخابرات من سوريا ومن لبنان، وسمعت فى التحقيق أقوال عدة شخصيات تتصل – أولا تتصل– بموضوع التحقيق.

وقبل أن استطرد فى تفاصيل ما حدث خلال فترة التحقيق، أحب أن أسجل أنه بتاريخ ٥٩/٦/٦ صدر حكم محكمة جنح مصر الجديدة ببراءتى من كل ما نسب إلى ، ولم يرضى النيابة العامة هذا الحكم فاستأنفته ، وصدر حكم محكمة الاستئناف بتأييد حكم البراءة بجلسة ١٩٦٠/٦/٢٧.

هذه حقيقة أردت أن أسجلها قبل الاستطراد، حتى يتصور القارئ الجو الذى سيطر على التحقيق، ومدى المبالغة التى أضيفت عليه، والتى انتهت بصدور حكم البراءة مرتين ..

سمعت فى هذا التحقيق أقوال الأمير عبد الله المبارك الصباح – نائب حاكم الكويت – بتاريخ ٥٨/٩/٢٥ وأقوال سكرتيره – هانى القدومى – فى نفس التاريخ.

وسمعت أقوال أنور السادات فى التحقيق مرتين ، الأولى بتاريخ ٥٨/٨/٢٧ والثانية بتاريخ ٥٨/٩/٩ .

وسمعت أقوال الصاغ فوزى عبد الحافظ مرافق أنور السادات وحارسه الخاص بتاريخ ٥٨/٩/١ .

وسمعت أقوال العديد من ضباط المخابرات ومنهم حسن الصبان، وعبد الرؤوف القبانى وغيرهم ..

وكنت فى كل مرة استدعى للتحقيق أواجه بوقائع جديدة، واتهامات جديدة ، واجهتها جميعا بثقة وثبات ، فقد كنت أعرف أن المقصود هو فقط إطالة أمد التحقيق ، حتى تطول معه إقامتى فى سجن القلعة ..

ومادمت قد أشرت إلى سجن القلعة ، فلابد أن أسجل واقعة هامة تعرضت لها خلال فترة السجن ، وأظن أن لها دلالاتها الهامة التى لن تخفى على فطنة القارئ ..

فقد كنت محبوسا فى عنبر الحبس الاحتياطى ، فارتدى ملابسى العادية ، ويصلنى الطعام من خارج السجن ، ويسمح لى بالنزهة لبضع ساعات كل يوم ، ولا يقفل على باب الزنزانة إلا فى المساء.

ومع ذلك فلم يكن مسموحا لأحد بزيارتى أو الاتصال بى فأمضيت وقتى فى القراءة ، وأشهد بأنه كان من مزايا فترة السجن هذه أننى تفرغت لقراءة كل ما كتب عن المشكلة الفلسطينية باللغة العربية، واللغات الأجنبية ، ابتداء بما كتبه مناحم بيجين ، وجون فوستر دالاس، والجنرال جلوب ، وانتهاء بما كتبه الحاج أمين الحسينى مفتى فلسطين الأسبق ..

ولقد حاول المرحوم شقيقى – وكان وقتها ضابطا كبيرا فى القوات المسلحة – أن يحصل على تصريح بزيارتى فى السجن ، واستعان فى ذلك بعلاقة عائلية كانت تربط أسرتى بالمرحوم اللواء محمود صاحب ، مدير عام مصلحة السجون فى ذلك الوقت ، لكن كل المحاولات قد باءت بالفشل ، رغم ذلك ، فقد كانت التعليمات مشددة بأن لا يزورنى أحد وأن لا أتصل بأحد ، وكأننى متهم بقلب نظام الحكم ، أو بالاشتراك فى مقتل أمين عثمان مثلا .. !

وكثيرا ما كان المرحوم شقيقى يجيئ -ببدلته الرسمية- ويقف ساعات أمام باب السجن، محاولا أن يرانى ولو لدقائق معدودة، لكنه فى كل مرة كان يعود دون أن يسمح له بهذا اللقاء .

وفى يوم جاء " الباش سجان " وكان اسمه عم سكر يبلغنى بأننى مطلوب للزيارة فى مكتب " البيه مأمور السجن" ..

وتصورت أن شقيقى قد أفلح فى الحصول على تصريح ، أو أنهم أشفقوا على المرحومة والدتى فسمحوا لها بزيارتى فى السجن.

ومشيت وراء " عم سكر " نجتاز الممرات الطويلة ، وتفتح أمامنا مزاليج الأبواب الحديدية، حتى وصلنا إلى مكتب مأمور السجن .. ودخل عم سكر ، وضرب قدميه على الأرض بصوت ارتجت له جدران الغرفة ، التى تبعته إلى داخلها ..

وكانت مفاجأة لم تخطر لى على بال ..

كان مأمور السجن يجلس خلف مكتبه ، وعلى المقعد المواجه للمكتب ، تجلس السيدة (م) تنظر ناحيتى " وبراءة الأطفال فى عينيها .. "

واذهلتنى المفاجأة، وشعرت بإهانة لم أواجه بمثلها فى حياتى وأوشكت دمعة أن تقفز من عينى، لكننى أطبقت عليها داخل جفونى بكل ما أملك من قوة، فقد كانت هذه الدمعة تمثل بالنسبة لى يومها كرامتى كلها، وكنت حريصا على أن أحتفظ بها ...

واذكر أن عيناى ظلتا ملتهبتين بعدها لعدة أيـــام – مـــن فرط ما بذلت يومها من جهد عصبى – وتشهد سجلات السجن، بأننى ترددت على العيادة بعدها لعلاج عيناى ..

ونظر مأمور السجن ناحيتى ، وعلى وجهـــة ابتســامة رقيقة وقال :

– أن (م) هانم قد جاءت لتطمئن عليك .. فهل هناك أى خدمة نستطيع أن نؤديها لك ..؟

قلت دون أن أنظر إليها :

– شكرا .. كل شيء على ما يرام ..

فنهضت (م هانم) من مقعدها ، وخطت خطوتين ناحيتى، وقالت :

– اطمئن .. كل شيء سوف يكون على ما يرام ..

وقبل أن تستطرد لاستكمال حديثها ، نظرت إلى مـــأمور السجن وقلت :

– هل تأمر بشيء آخر .. ؟

قال :

– لا .. شكرا .. ولكن يمكنك أن تبقـــى قلـــيلا مـــع (م) هانم ..

واستدرت ناحية الباب، وخرجت منه عائدا إلى الزنزانة، وخلفى عم سكر، فقد شعرت يومها أن أى زنزانة حتـــى ولـــو كانت فى باطن الأرض، أفضل بالنسبة لى من أن أنظـــر ولـــو للحظة واحدة فى وجه (م هانم) ..

هل كانت (م) هانم قد جاءت حقا لتطمئن على أحوالى ، أم أنها جاءت لتمارس نوعا من الشماتة القاسية فى زوجها السابق وهو خلف القضبان .. ؟؟

وهل جاءت لتقول " كل شيء سوف يكون على ما يرام " أم أنها جاءت لتقول لى : أنا التى تسببت فى دخولك إلى هنا ، وأنا وحدى التى تستطيع أن تخرجك من هنا .. ؟

ثم كيف استطاعت السيدة (م) أن تخترق كل هذه الأسوار، وأن تنجح فيما فشل فيه مدير عام مصلحة السجون نفسه، لولا أن يكون وراء نجاحها نفوذ أكبر.. واتصالات أوثق ..

وشعرت يومها بأننى مدين بالعرفان " للثائر الأسمر " الذى كشف لى – دون أن يقصد – عن معدن السيدة التى أعطيتها اسمى فى يوم من الأيام ، وكان من الممكن أن تظل شريكة عمرى ، أو تصبح أما لأولادى ..

ومن المفارقات الغريبة أن المستشار محمد الصادق المهدى الذى حقق معى بتهمة القذف فى حق أنور السادات، وقدمنى للمحاكمة قد فصل من الخدمة –فى عهد الرئيس أنور السادات– بعد أن قررت لجنة الصلاحية فى وزارة العدل الاستغناء عن خدماته، لما ثبت من أنه كان وراء "مذبحة القضاء" التى راح ضحيتها عدد من زملائه الذين كان يكتب عنهم التقارير إلى جهات الأمن، لمجرد أنهم كانوا قضاة شرفاء رفضوا أن يكونوا أدوات للسلطة أو أن يبيعوا ضمائرهم إلى الحاكم[١].

---

(١) معركة العدالة – المستشار ممتاز نصار .

ولقد ترددت نقابة المحامين طويلا قبل أن توافق على قبول محمد الصادق المهدى فى عضويتها، بعد فصله من وزارة العدل، وكان الرأى أن من تجسس على زملائه من القضاة ووشى بهم، لا يستحق أن ينضم إلى أسرة الدفاع عن الحريات . !

هكذا قال لى صديقى المرحوم عصمت الهوارى ، وكيل نقابة المحامين وقت أن طلب محمد الصادق المهدى أن ينضم للنقابة.

سيادة القانون

بعد أن طالت فترة الحبس الاحتياطى ، تطوع سعد زايد ، ربما تحت إلحاح من المرحومة والدتى ، بمقابلة أنور السادات، واستخدم معه كل ما كان بينهما من ود قديم وزمالة فى الدراسة وجوار فى السكن ، لكى يخفف من ضغطه على سلطة التحقيق ، ويسمح بالإفراج عنى ما دامت القضية سائرة فى طريقها ، وسوف يقول فيها القضاء كلمته ..

وسبق أن قلت أن سعد زايد كانت له فى نفس السادات منزلة خاصة ، وأن كانت هذه المنزلة لم تمنع السادات فيما بعد – وبعد أن أصبح رئيسا للجمهورية – أن يقدم سعد زايد إلى المحاكمة فى القضية المعروفة بقضية مراكز القوى فى مايو عام ١٩٧١ والتى حكم فيها بسجنه عشر سنوات ..

وتطوع سعد زايد فى لقائه بالسادات أن يقدم له كل ما شاء من اعتذار وصل به إلى حد الانحناء على رأسه يقبلها ويسأله فى عشم كبير :

– هل يكفيك منى هذا الاعتذار .. ؟ !.

وهز أنور السادات رأسه بطريقة من لم تعد له حيلة إلا القبول – بعد أن أحرجه سعد زايد بتقبيل رأسه – وأبلغ النيابة العامة بتنازله عن بلاغه، فأفرج عنى فى ذات اليوم وعدت إلى منزلى فى الساعة الثانية بعد الظهر حيث تناولت طعام الغذاء مع أسرتى .. !!

ولقد ظلت المرحومة والدتى تقدر هذا الجميل لسعد زايد، وحتى آخر يوم فى حياتها ، واذكر أنه بعد انصرافه من زيارتها فى مستشفى دار الشفاء - قبل وفاتها بساعات ذات يوم من شهر يوليو من عام ١٩٨٥ ، اذكر أنها نظرت إلى وقالت بصوت خفيض :

- لا تنسى ابدا أن سعد قد قبل رأس أنور السادات من أجلك فى يوم من الأيام ..

وكان الإفراج عنى شيء ، وخطاب السادات لوزير الداخلية شيء آخر ، فقد قرر زكريا محيى الدين بعد أن وصله خطاب السادات أن يدرج أسمى فى "القائمة السوداء".

وكان معنى ذلك - وقتها - أننى ممنوع من السفر إلى الخارج، وأن تعترض جهات الأمن على التحاقى بأى عمل من الأعمال .. !! .

وكنت قد تقدمت للعمل بشركة مصر للطيران، ونجحت فى الاختبار الشخصى، وكان ترتيبى الأول بين الناجحين، واذكر أن لجنة الاختبار وقتها كانت برئاسة المرحوم اللواء محمود صدقى المليجى، وعندما صدرت قرارات التعيين لم يكن اسمى بين المعينين بعد اعتراض جهات الأمن التى كانت تعرض عليها أسماء المرشحين للتعيين فى شركات القطاع العام.

ثم تقدمت للالتحاق بمؤسسة التأمينات الاجتماعية، واختبرنى مديرها المرحوم محمد وصفى، وأصدر قرار التعيين، واجتزت الكشف الطبى وتسلمت عملى لمدة أربعة ساعات، صدر خلالها قرار بسحب قرار التعيين..!!

JOHN NEWTON & CO.
NOTARIES PUBLIC
Translators of Languages
12, WHITEHALL
LONDON S.W.1

I, John Newton, Notary Public of No. 12, Whitehall in the County of London, by Royal Authority duly admitted and sworn practising in said County Do Hereby Certify unto all whom it shall or may concern

that the signature "for and on behalf of AFRO-ASIAN DISTRIBUTION CENTRE LTD. H. Hudson, Director" set at foot of the Agreement hereunto annexed is the genuine signature of

AFRO-ASIAN DISTRIBUTION CENTRE LIMITED,

FINSBURY COURT, FINSBURY PAVEMENT, LONDON, E.C.2,

ENGLAND, by HAROLD HUDSON, one of the DIRECTORS of the said Company, who is duly authorised to sign for and on behalf of the said Company and who, on the day of the date hereof, personally appeared before me the said Notary and signed the said annexed Agreement in his said capacity in my presence.

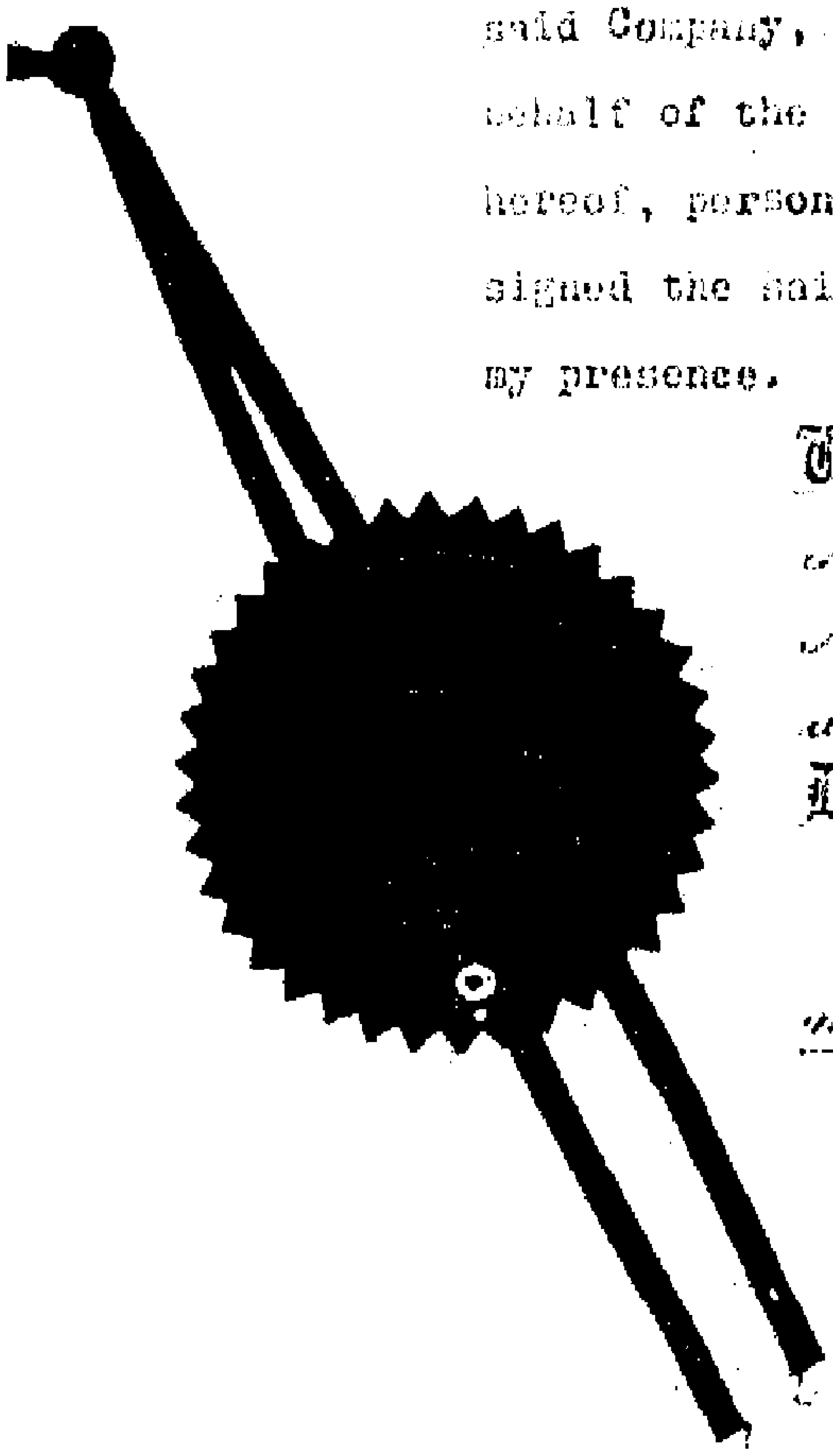

Whereof an Act being required I the said Notary have granted these Presents under my Notarial Firm and Seal of Office to serve and avail as occasion shall or may require. Done and Passed in London this thirteenth day of July One thousand nine hundred and sixty-two.

In testimonium veritatis

وزارة الداخلية

مصلحة الأمن العـام

رقم مسلسل

٦٤٥

برفض استخدام الأشخاص الذين يتمتعون بجنسية الجمهورية العربية المتحدة
بالهيئات الأجنبية

تخطر مصلحة الأمن العـام :

السيد [illegible]

المقيم [illegible]

بأنها لا توافق على إجابة الطلب رقم ٥٥/١١٥ المقدم منه بتاريخ [illegible] سنة ١٩٦٥

للالتحاق [illegible]

[illegible]

[illegible]

وذلك طبقا للقانون رقم ١٧٣ لسنة ١٩٥٨ الخاص باشتراط الحصول على إذن قبل العمل بالهيئات الأجنبية .

تحريرا في [illegible] سنة ١٩٦[illegible]

مدير عام
مصلحة الأمن العام
[illegible]

٩٠٦٤٢

وزارة الداخلية

مصلحة الأمن العام

رقم (٣٨٢)

إخطـــــار

رفض استخدام بالهيئات الأجنبية

القاهرة

تخطر مصلحة الأمن العام

السيد / احمد محمود طلعت ٢٥ شارع دمياط مصر الجديدة

بأنها لا توافق على إجابة الطلب المقدم منه بتاريخ ٣٠/١٢/١٩٥٨

للالتحاق بـ دار النشر للجامعيين (اللبنانية) ببيروت [illegible]

وذلك بالتطبيق للقانون رقم ٣٢ لسنة ١٩٥٦ الخاص باشتراط الحصول على إذن قبل العمل بالهيئات الأجنبية .

تحريراً في ١٠/ ١/ ١٩٥٩

مدير عام

مصلحة الأمن العام

ووافقت الشركة الأفريقية الأسيوية للنشـــر والتوزيـــع على تعيينى مديرا لفرعها فى لندن، وتقدمت للحصـــول مـــن وزارة الداخلية على تصريح العمل فى جهة أجنبيـــة - وفقـــا للقانون - لكننى تلقيت رفض الوزارة التصريح لى بالعمل فى الخارج ، كما تلقيت رفضها لعملى فى بيروت فى دار النشـــر للجامعيين [1] .

وكان الحصار يضيق من حولى، وكان الهدف أن أجوع وأن أركع، وكانت وراء ذلك كله اتصالات خفية من السيدة (م) تصور لبعض الأجهزة أن أنور السادات لا يريد لى أن أعمل..

وقررت أن اخترق الحصار، وأن ابدأ بأى عمل مهما كان متواضعا.. ورأيت إعلانا نشرته فى الصحف "شركة أتـــوبيس إخوان مقار "وكانت أحدى شركات النقل العام فـــى العاصـــمة، تطلب فيه سائقين فتقدمت بطلـــب للعمـــل "ســـائق أتـــوبيس" واجتزت اختبارات القيادة فى جراج الشركة، وقلت لنفسى أننى ما دمت أقود سيارتى الخاصة طول النهار، فماذا يضـــيرنى إذا كنت أقود سيارة النقل العام..؟! أليس هذا عملا شريفا اكســـب منه رزقى، وفوق ذلك أشعر به أننى قد اخترقت الحصار..؟! .

واعذر القارئ إذا لم يصدقنى وأنا أقـــول لـــه أن نفـــس الأجهزة قد اعترضت على عملى فى وظيفة "سائق أتـــوبيس"

---

(١) إخطار برفض العمل فى الهيئات الأجنبية رقم ٣٨٢ بتاريخ ٥٩/١/١٠.
- إخطار برفض العمل فى الهيئات الأجنبية رقم ٦٤٥ فى ٦٢/٨/٢٠.

وأن الشركة قد اعتذرت لى عن التعيين ..!! لكنها – مع الأسف – حقيقة ثابتة بالمستندات مثل غيرها من الحقائق التى أشرت إليها فيما سبق ..

لذلك فقد كنت فى آخر أيام السادات أضحك بينى وبين نفسى وأنا أسمعه يتحدث عن سيادة القانون ، وواحة الأمن والأمان ، ويتزين مزهوا بالوشاح الأخضر الذى يمثل رئاسته للمجلس الأعلى للقضاء .. !! .

* * * * *

وظللت داخل دائرة الحصار أكثر من عامين حاولت خلالها أن يصل صوتى للرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية ، فأرسلت إليه البرقيات ، ووسطت له المرحوم السيد / حسن صبرى الخولى ، الممثل الشخصى لرئيس الجمهورية ، وقابلت السيد / على صبرى وزير الدولة لشئون رئاسة الجمهورية وقتها – عن غير معرفة سابقة – وحاول الرجل أن يفعل شيئا لكنه كان يصطدم فى كل مرة بصلابة موقف أنور السادات ..

وضاقت دائرة الحصار ، وأوشكت بقية الصبر أن تنفد ، حتى جاء يوم أعلن فيه المرحوم الرئيس جمال عبد الناصر عن إعادة تشكيل "الاتحاد القومى" التنظيم السياسى فى ذلك الوقت بالانتخاب العام المباشر ، وعن فتح باب الترشيح لعضوية الاتحاد.

وقررت أن أخوض التجربة ، وأن أقدم أوراق ترشيحى ، ربما أجد فى العمل السياسى شيئا يشغلنى عن ما أنا فيه من فراغ وضياع .. وقدمت أوراقى بالفعل ..

وذات صباح أعلنت الصحف أن قيادة الاتحاد القومى تراجع أسماء المرشحين للانتخاب ، وأن من حقها -إذا رأت- أن تعترض على أسماء بعض المرشحين ..

وأعلن أن أنور السادات قد اختير سكرتيرا عاما للاتحاد القومى، وأنه سوف يشرف على عملية مراجعة الأسماء .. فلم يساورنى شك فى أننى سوف أكون أول من يعترض عليهم ، بل أننى فكرت فى أن أسحب أوراق ترشيحى ، وكفانى ما لقيت من اعتراضات .. ثم عدت وقررت أن أبقى أوراقى حيث هى ، وقلت لنفسى : ماذا تخسر من اعتراض جديد .. بل ربما كان هذا الاعتراض الجديد مستندا إضافيا احتفظ به للتاريخ .. !!

وأفقت يوما من نومى فى الصباح ، ومددت يدى إلى جريدة الأخبار ، فوجدت فى صدرها العنوان الرئيسى على عرض الصفحة باللون الأحمر يقول "لا اعتراض".

وانتقلت إلى تفاصيل الخبر ، فإذا بالرئيس جمال عبد الناصر يقرر بأنه لا اعتراض على أسماء المرشحين ، وأن من حق الجميع دخول المعركة الانتخابية .. وكانت مفاجأة ، وكانت نقطة تحول خطيرة ..

كنا وقتها أكثر من ٣٠٠ مرشحا نتنافس على عشرين مقعدا ، وكانت المنافسة بيننا فى أقصى درجات الشدة والحيوية ، فقد كانت هذه هى الانتخابات الأولى التى تجرى فى عهد الثورة ، بعد تعطيل الدستور وإلغاء الحياة النيابية ..

وأعلنت نتيجة الانتخابات ، وتضمنت فوزى بأحد المقاعد العشرين ، بعد مناورات ومؤامرات ، قد يأتى الحديث عنها تفصيلا فى مناسبة قادمة.

واجتمعت لجنة العشرين، وكان من بين أعضائها السيد/ سامى شرف سكرتير رئيس الجمهورية للمعلومات ، ووزير شئون رئاسة الجمهورية فيما بعد ، وأحد ضحايا ما سمى بمحاكمة مراكز القوى فى عهد رئاسة أنور السادات ..

وطلبت موعدا لمقابلة سامى شرف فى مكتبه بمبنى الحكومة المركزية فى مصر الجديدة .. وتم اللقاء فى المساء ، وكانت مقابلة سامى شرف – وقتها – ليست بالشيء اليسير ..

وبعد تحيات المجاملة، دخلت مباشرة فى الموضوع فقلت له:

– أن بينى وبين أنور السادات خلاف طويل ..

قال بهدوء :

– أعرف ..

قلت فى دهشة :

– كيف .. ؟

وأمسك سامى شرف بدبوس من علبة موضوعة على مكتبه ، ورفع يده فوق المكتب ، وترك الدبوس يسقط من بين أصابعه ، وقال لى :

- هل ترى هذا الدبوس..؟ أن أى دبوس مثله يسقط فى مصر، من الإسكندرية حتى أسوان، أعلم به فور وقوعه..؟!

وكان واضحا من نبرة سامى شرف ، ومن حركة أصابعه الهادئة، أن فيها شيئا كثيرا من "الاستعراض" ..

وليس هذا هو موضوعنا على كل حال ، لكن هذه الثقة من جانبه قد شجعتنى على أن أقول له :

- إذن فأنت تعرف كل شيء ..

قال بنفس الثقة :

- كل شيء ..

فمددت يدى أقدم إليه مذكرة كنت قد أعددتها قبل اللقاء ، تلخص الأمر كله ، واستأذن فى نشرها حرفيا ، فهى بالغة الدلالة على مضمونها ، قادرة على أن تشرح نفسها ، وفوق ذلك فهى مذكرة رسمية مقدمة للعرض على رئيس الجمهورية - رأس السلطة فى الدولة - وبالتالى فهى وثيقة تؤكد صحة كل ما ورد فيها :

السيد / سكرتير السيد الرئيس لشئون المعلومات

تحية طيبة واحتراما وبعد:

فقد دفعنى إيمانى العميق بحرص السيد/ الرئيس جمال عبد الناصر على كفالة تكافؤ الفرص للمواطنين جميعا ، وتأمين حق العمل لهم طبقا للمبادئ الدستورية العامة ، وما أخذت نفسها عليه حكومة الثورة منذ قيامها ، دفعنى ذلك كله إلى أن أتشرف بتقديم هذه المذكرة إلى سيادتكم ، راجيا أن تتفضلوا بوضعها تحت نظر السيد / رئيس الجمهورية.

١- التحقت بالعمل وكيلا لإدارة الاستعلامات بالمؤتمر الإسلامى فى٥/٩/١٩٥٦- عقب حصولى من معهد العلوم السياسية بجامعة باريس على دبلوم الدراسات الأفريقية.

٢- وقد ظللت أقوم بعملى على خير وجه حتى فوجئت فى ١٣/١١/١٩٥٧ بقرار من السيد / أنور السادات بإيقافى عن العمل والتحقيق معى فى الشكوى المقدمة لسيادته من مطلقتى، وقد وقع الطلاق بيننا فى اليوم السابق مباشرة لإيقافى عن العمل أى فى يوم ١٢ نوفمبر.

٣- وقد أوضحت فى هذا التحقيق - وهو محفوظ بملف خدمتى بالمؤتمر - أن الخلاف بينى وبين زوجتى هو من صميم شئونى الخاصة ولا شأن للمؤتمر الإسلامى به.

ولكن ذلك لم يشفع لى فأصدر السيد / أنور السادات قرارا فى ٧ ديسمبر ١٩٥٧ بفصلى من عملى وجاء بخطاب الفصل أنه كان :

"بناء على ما قرره السيد السكرتير العام بعد الإطلاع على التحقيق فى الشكوى المقدمة من السيدة حرمكم ، ونظـرا لأن ما صدر منكم يخل بما ينبغى بأن يكون عليه سـلوك موظفى المؤتمر وأن كان الأمر يتعلق بأمورهم الشخصية".
وهكذا أقحم المؤتمر نفسه فى نزاع زوجى ليس من شأن أحد أن يتدخل فيه، وحرمت من عملى بغير مبرر من واقع أو قانون.

٤- وكان من نتيجة ذلك أن تجمعت لدى إدارة المباحث العامة بوزارة الداخلية معلومات خاطئة أدت إلى وضـع أسـمى على قوائم الممنوعين من السفر بحجة أننى على خـلاف مع السيد/ أنور السادات.

٥- ولو أن الأمر وقف عند حد منعى من السفر - وهو فـى ذاته أمر لا مبرر له - لأمكننى الصبر عليه ، ولكـن هـذه التحريات وقفت حجر عثرة فى وجـه مسـتقبلى طـوال العامين الماضيين.

فقد عينت فى مؤسسة التأمين والادخار ثم اخبرنى السيد/ محمد وصفى مدير المؤسسة، بعد مزاولتى للعمـل، بأنـه مضطر إلى سحب قرار تعيينى بعد أن ترامى إلى إسـماع سيادته وجود خلاف بين السيد/ أنـور السـادات وبينـى وسحب القرار بالفعل.

ثم تقدمت لامتحان أجرته شركة مصر للطيران للتعيين فى وظائفها وجاء ترتيبى الأول من قائمة الناجحين فى هـذا

الامتحان، وقبل أن يعتمد السيد / محمود صدقى المليجى قرار تعيينى من مجلس إدارة الشركة، اضطر لسحبه لنفس السبب السابق.

٦- وظننت أننى أستطيع أن أحصل على عمل خارج بلادى ، ما دمت لا أستطيع أن أعمل فيها ، ولكننى فوجئت بأن قرار منعى من السفر يحول بينى وبين ذلك. حتى أننى عندما اتفقت مع أحدى دور النشر اللبنانية على أن أقوم بأعمالها فى القاهرة ، وتقدمت إلى وزارة الداخلية بطلب الترخيص لى بالعمل فى مؤسسة أجنبية طبقا للقانون ، فوجئت بإخطار بعدم موافقة الوزارة على ذلك.

وما حدث بالنسبة لهذه الشركات تكرر مع باقى الهيئات والمؤسسات التى طرقت باب العمل بها.

٧- وبالرغم من السيد/ أنور السادات قد أكد فى أكثر من مناسبة أنه لا يحمل نحوى أى حفيظة، إلا أن هذه الحال قد استمرت طوال عامين حتى الآن، وهى حال تتنافى مع ما قرره دستور جمهورية مصر فى أحكام مواده ٦ ، ٥٢، ٦٢، ٦٣ وهى الأحكام التى تضمنها إجمالا الدستور المؤقت للجمهورية العربية المتحدة. وتطبيقا للمبادئ العامة للعدالة وكفالة حق العمل للمواطنين جميعا.

لذلــــك

فأننى أتقدم بهذه المذكرة راجيا أن توضع حالتى تحـت نظر السيد الرئيس / جمال عبدالناصر ليتفضل فيتخذ بشـأنها من الإجراءات ما يتفق مع حرص سيادته على كفالة حريـات وحقوق الشعب.

وتفضلوا بقبول عظيم احترامى ،،

أحمد طلعت

وودعنى السيد / سامى شرف ، وأنا أقول لنفسى أنهـا محاولة أخرى قد لا تضيف شيئا جديدا ، لكنها محاولة على كل حال ، ولن يخالجنى شك – بعد الآن – فى أن الأمر قد دخـل إلى مكتب رئيس الجمهورية ، وسوف تتكفل الأيام بالحكم على مدى صدق النوايا ..

الرجل الطيب

ابلغنى سامى شرف بأن الرئيس جمال عبد الناصر قد أصدر أمرا بتعيينى فى المؤسسة الاقتصادية ..

وقلت لسامى شرف :

– هذا بالنسبة للعمل .. ولكن ماذا قال الرئيس فى كل ما تعرضت له من اضطهاد أنور السادات .. ؟

ونظر إلى سامى شرف بعتاب وقال :

– وبعدين يا أحمد .. هل تريد منه أن يعلقه لك على شجرة ..؟ يكفى أنه قد أمر بتعيينك، وهذا معناه أنه قد أنصفك ورد إليك اعتبارك ..

قلت :

– وماذا لو اعترضت أجهزة الأمن على هذا التعيين ، كما فعلت فى مرات سابقة .. ؟

واجابنى ضاحكا :

– من الذى يستطيع أن يعترض على أمر الرئيس .. ؟؟

وعينت فعلا فى المؤسسة الاقتصادية ، التى كانت أول تجربة لمؤسسات القطاع العام وكانت تتبعها الشركات المملوكة لرعايا فرنسا وبريطانيا التى أممت بعد العدوان الثلاثى فى عام ١٩٥٦ .

وفى المؤسسة الاقتصادية عرفت المهندس محمد صدقى سليمان، مدير عام المؤسسة، الذى أصبح فيما بعد وزيرا للسد العالى، ثم رئيسا لمجلس الوزراء، وكان من حظى أن أكون ضمن من عملوا معه فى السد العالى، حيث أقمت فى أسوان أكثر من سبع سنوات كانت هى أحلى سنوات حياتى الوظيفية، وكان خلق صدقى سليمان، والشعور بالاطمئنان الذى يزرعه فى قلب كل من يعملون معه، تجربة فريدة لا يمكن أن تكرر ..

واقترح سامى شرف -بعد تعيينى فى المؤسسة الاقتصادية- أن أذهب لزيارة أنور السادات فى بيته زيارة مجاملة، أضع بها النهاية لكل ما ترسب فى نفسه من ناحيتى..

ولما شعر بأننى متردد فى قبول هذا الاقتراح، قال لى باقتناع ظاهر :

- أنه رجل طيب جدا ، وكل ما هناك أنك لم تفهمه جيدا..[١]

قلت :

- وإذا لم يوافق على مقابلتى .. ؟

قال :

- سوف ارتب لك كل شيء .

* * * * *

---

(١) كان سامى شرف أحد الذين حاكمهم السادات فى قضية مراكز القوى وحكم عليه بالسجن المؤبد .

كانت زيارتى للسادات ظهر يوم ثلاثاء، فى بيته القـديم فى شارع الهرم.. وكان البيت عبارة عن فيلا علـى الطـراز الإنجليزى تحيط بها حديقة واسعة، وكانت مملوكة لأحد الرعايا البريطانيين قبل فرض الحراسة على ممتلكاتهم أيام العـدوان الثلاثى..

وفى الموعد ، كان السادات جالسا فى الحديقـة تحـت مظلة من القماش الأخضر ، وفى يده كتاب باللغة الإنجليزيـة يقرأ فيه. وبعد أن صافحته جلست فى المقعد المواجـه لـه ، ومضت لحظات دون أن يقول شيئا ..

كان لقاؤنا الأول بعد صراع طويل، استخدم هو فيه كل ما كان يملك من سلطان، وواجهته أنا بكل ما أملك من إصرار..

وأحسست بأنه من واجبى- وأنا الأصغر سنا- أن أبـدأ بالخطوة الأولى، وكنت قد بدأت أفهم مفاتيح شخصـية أنـور السادات.

فبقدر ما كان يحب أن يظهر فى المناسبات العامة بمظهر الجد، كان فى مجالسـه الخاصـة مرحـا يجيـد الدعابـة .. ويتفهمها .. !!

وقلت بدون مقدمات :

- لابد وأن تكون لى فى نفس سيادتك منزلـة كبيـرة ، وأنا لا أدرى ..

ونظر إلى بدهشة، مقطبا حاجبيه، فاستطردت على الفور:

- لا يمكن ابدأ أن تكون سيادتك غاضب منى هذا الغضب كله ، لولا أن تكون لى فى نفسك منزلـــة خاصـــة جــدا ، أن الغضب هو عكس الرضا ، والرضـــا والغضـــب لا يكونـــان إلا لشخص له فى النفس منزلة ..

وانفرجت اسارير أنور السادات ، وضحك مـــن أعمـــاق قلبه وقال :

- أنت " بلوة تقيلة " .. !!

وبدأ الحديث بعدها طبيعيا ، وتطـرق إلـــى كثيـــر مـــن الموضوعات السياسية والاجتماعية، حتى فاجأنى بحديث كـــان هو آخر ما أتوقعه منه، عندما قال :

- هل تعرف أننى أصدرت تعليماتى بعدم السماح للسيدة (م) بأن تضع قدمها فى أى مكان أعمل فيه .. ؟

واستطرد :

- لقد أساءت استخدام أسمى، وكانت تدعى فى كل مكان أنها على صلة بى وبأسرتى، بل كانت توهم جهة عملها بأننى أحميها..!!.

وكنت أسمع ما يقوله السادات ، دون أن أنطـــق بكلمـــة واحدة، حتى ادهشنى بقوله :

- ما هو سر "صغار" هذه المرأة .. ؟

وكدت أقول له: تشجيعك أنت هو سر تصرفاتها لكننـــى راجعت نفسى ، فقد كنت أعلم أن هذه الكلمة سوف تفسد جـــو اللقاء كله ، رغم أنها تمثل كل الحقيقة ..

وبهدوء شديد قلت له :

– ربما يكشف لنا هذا "السر" الحديث الشريف (إذا لم تستح فاصنع ما شئت) ..

وهز السادات رأسه مؤيدا وموافقا على ما قلت، وكأنه كان حقيقة يبحث عن السر، حتى جئت أنا فكشفت له عنه.. !!

وكان من طبع السادات – إذا أحس بأنه أحدا سوف يفتح معه موضوعا لا يحب أن يتكلم فيه – أن يفتح هو هذا الموضوع ، حتى يضع محدثه فى ارتباك شديد نتيجة للمفاجأة.

وامتدت جلستنا ثلاث ساعات ، روى لى خلالها كيف كان يعيش بعد فصله من الجيش فى عناء شديد ، وكيف تحمل الكثير حتى من أصدقائه ، ومنهم صديق عمره حسن عزت الذى كان يعمل معه فى المقاولات والذى تعرف فى بيته على زوجته السيدة (جيهان).

وقال أن حسن عزت قد أرسله إلى أسوان – فى عز الصيف – للإشراف على مقاولة بناء لمعسكرات الجيش هناك، بينما ظل حسن عزت فى القاهرة يتمتع بصرف "المستخلصات" وإنفاقها دون أن يعطى للسادات نصيبه منها..!!.

وكان السادات يريد بهذه القصة – بطريق غير مباشر – أن يقول لى أن كل إنسان فى بدء حياته يتعرض لظروف صعبة، لكنها سرعان ما تمر ويعود إلى حياته الطبيعية من جديد، وكنت أفهم – بطبيعة الحال – السبب فى أن السادات يريد أن تصل إلى هذه الرسالة.

وكنت على وشك أن أحتفل بعقد قرانى بعد هذا اللقاء بأيام ، لذلك فقد انتهزت الفرصة ودعوته إلى حفل عقد القران،

فلم يتردد فى قبول الدعوة، وشارك بالفعل بالحضور وبالتوقيع شاهدا على عقد الزواج.

وكان السادات مرحا طوال السهرة ، وكان لا ينقطع عن القفشات والدعابات ، مما أعطى انطباعا بأن كل شيء قد عاد كما كان، ووضع بذلك النهاية لتوتر شديد سيطر على علاقتنا لعدة سنوات.

وشاءت الأقدار أن يفصلنى السادات لأننى طلقت زوجتى الأولى، وأن يكون هو نفسه شاهد عقد زواجى الثانى .. !!

السادات يشهد على

عقد الزواج الثاني ..!!

المُخرج المجهول

كان ضمن مسئولياتى -خلال عملى فى السد العالى- أن أهتم بكبار الزوار، وخصوصا من المسئولين الأجانب، الذين كانوا يتوافدون بصورة ملفتة للنظر لمتابعة العمل فى بناء السد فى أسوان.

ولم يكن يمضى يوم دون أن يصل إلى أسوان رئيس دولة أجنبية، أو مسئول كبير لزيارة السد العالى، تلك الزيارة التى أصبحت بندا رئيسيا فى برنامج زيارة أى ضيف أجنبى يزور مصر رسميا. واذكر أن أسوان قد شهدت -فى يوم واحد- زيارة ٢٢ رئيسا أفريقيا، كانوا يحضرون فى القاهرة مؤتمر القمة الأفريقى، وأراد الرئيس جمال عبد الناصر أن تحملهم طائرة خاصة لزيارة موقع العمل فى بناء السد العالى فى أسوان.

وخلال تلك الفترة توثقت علاقتى بالمستشار الإعلامى للسفارة الأمريكية فى القاهرة، الذى كان مسئولا -من ناحيته- عن زيارات المسئولين الأمريكيين لأسوان، سواء كانوا من أعضاء الكونجرس، أو من رجال إدارة الرئيس جونسون فى ذلك الوقت.

وكان المستر "هالسما" يشاركنى الأسف لتخلى الحكومة الأمريكية عن المشاركة فى تمويل بناء السد العالى ، الأمر الذى فتح الباب - فيما بعد - لمشاركة الاتحاد السوفيتى فى بنائه وتقديم القرض اللازم له.

وكان المستر هالسما يحب مصر والمصريين ، حتى أن أبنه الذى تعلم فى الجامعة الأمريكية بالقاهرة درس اللغة

العربية وفضل البقاء فى مصر ، عقب انتهاء فترة عمل والده فيها ، حيث يعمل - حتى الآن - بتدريس اللغة الإنجليزية فى أحدى مدارس الإسكندرية ..

وفى يوم من خريف عام ١٩٦٥ اتصل بى "جيمس هالسما" من القاهرة تليفونيا ، وابلغنى بأنه سوف يحضر لقضاء أجازة قصيرة فى أسوان ، وأنه يريد أن يتأكد من وجودى هناك خلال زيارته.

وحضر " جيم " - وهكذا كنت أناديه - ودعوته إلى العشاء على ظهر الباخرة "أوزريس" التى كانت وقتها راسية على النيل فى أسوان.

وبعد تبادل أحاديث المجاملة ، دخل " جيم " فى الموضوع فقال :

- عندى خبر سار .. فقد دعى الكونجرس الأمريكى وفدا من مجلس الأمة المصرى برئاسة أنور السادات لزيارة الولايات المتحدة، وقد قبل السادات الدعوة وتحدد موعدها فى أوائل العام القادم ..

قلت :

- عظيم ...

قال جيمس هالسما بسعادة ظاهرة :

- أنت تعلم أن هذه هى المرة الأولى التى يقوم فيها عضو فى مجلس قيادة الثورة بزيارة للولايات المتحدة ، منذ قيام الثورة فى عام ١٩٥٢ .

واستطرد :

- لذلك فهى زيارة هامة ، لابد أن تتوفر لها كل فرص النجاح، حتى تساهم فى تخفيف حدة التوتر الذى يخيم الآن على جو العلاقات بين البلدين.

واستمر هالسما فى حديثه :

- وأنا أعلم بأنك ممن يحبون أن تكون لمصر علاقات دولية وثيقة مع بقية الدول ، ومن بينها الولايات المتحدة ، لذلك رأيت أن أطلب معاونتك فى نجاح هذه الزيارة.

قلت :

- وماذا أملك أنا أن أفعل .. ؟

قال :

- أنك تعرف السادات جيدا ، ومعلوماتى أنك من أكثر من يعرفون طباعه ، واهتماماته الشخصية ، لذلك فإنك تستطيع أن تساعدنى فى إعداد برنامج زيارته المرتقبة للولايات المتحدة حتى نتجنب كل ما يضايقه ، وحتى تتم الزيارة فى أفضل إطار ممكن.

قلت :

- وكيف أعددتم للزيارة .. ؟

وأخرج جيمس من جيبه مفكرة صغيرة ، وأخذ يقرأ منها : " عندما يصل الوفد البرلمانى إلى المطار يكون فى انتظاره مندوب من إدارة المراسم فى الكونجرس ، ثم يتوجه الوفد إلى فندق " واشنطن هلتون " حيث تم حجز ستة غرف لإقامة أعضاء الوفد ..

وقاطعت "جيم" بسؤال :

- ومن من المسئولين الأمريكيين سيكون فى استقبال السادات بالمطار .. ؟؟

قال :

- لا أحد .. فأن الدعوة ليست موجهة من الحكومة الأمريكية، ولكنها موجهة من الكونجرس ، لذلك فإن البروتوكول لا يسمح لأحد من رجال الإدارة الأمريكية بالاشتراك فى استقبال الوفد ..

قلت :

- هذا هو الخطأ الأول .. !

قال :

- كيف .. ؟

قلت :

- أن أنور السادات يحب أن يحس بأهميته ، وهو الآن يتصور أن الولايات المتحدة سوف تخرج عن بكرة أبيها لاستقباله فى المطار، فإذا وصل إلى هناك ولم يجد مسئولا أمريكيا واحدا فى انتظاره ، فإنه سوف يصاب بخيبة أمل من اللحظة الأولى التى يضع فيها قدميه على الأرض الأمريكية ، وسوف ينعكس ذلك على بقية انطباعاته أثناء الزيارة.

قال هالسما باهتمام شديد :

- وكيف نحل هذه المشكلة .. ؟

قلت :

- فيما أعلم أن المستر رايموند هير - مساعد وزير الخارجية فى ذلك الوقت - هو صديق شخصى للسادات منذ كان يعمل سفيرا للولايات المتحدة فى القاهرة ، لذلك فإن اشتراكه فى استقبال السادات فى المطار سوف يحل المشكلة ، فمن الناحية الرسمية لا تشترك الخارجية الأمريكية فى الاستقبال ، وإنما يشترك رايموند هير باعتباره صديقا شخصيا

للسادات. ومن ناحية " إرضاء غرور السادات " فإن مساعد وزير الخارجية سوف يكون فى انتظاره ، وليس مطلوبا أن يقول له أحد بأن مساعد الوزير سوف يقابله بصفته الشخصية ..

وسارع هالسما إلى تدوين ما قلته فى مفكرته الصغيرة. وكأنه قد اكتشف نظرية "انشطار الذرة"(١) .

وعدت أقول له :

- لقد جاء فى حديثك أنكم قد حجزتم ستة غرف فى فندق "واشنطن هلتون" لإقامة الوفد البرلمانى .. فماذا حجزتم لإقامة السادات والسيدة حرمه ..؟

قال هالسما على الفور :

- أن الكونجرس هو الذى تولى حجز الفندق ، لكن معلوماتى أنهم قد حجزوا ستة غرف متجاورة ، أحدها للسادات والخمسة الخرى لبقية أعضاء الوفد ..

قلت :

- وهذا هو الخطأ الثانى .. !

قال :

- كيف .. ؟

قلت :

- أن السادات هو رئيس مجلس الأمة ، وبقية أعضاء الوفد هم "مجرد أعضاء" فى مجلس الأمة ، والسادات يحب

---

(١) وكان السادات وثيق الصلة برايموند هير خلال عمله سفيرا فى القاهرة وكان يدعوه إلى الاحتفالات التى يقيمها المؤتمر الإسلامى لتكريم بعض الزوار الأمريكيين سواء أتصل عملهم بالإسلام أو لم يتصل .. !!

دائما أن يكون متميزا عن الآخـرين ، لـذلك فلابـد مـن أن تحجزوا له جناحا خاصا ، وفى دور آخر غير الدور الذى تقع فيه بقية غرف أعضاء الوفد ..

ونظر إلى المستر هالسما بدهشة ، وكأنه لا يصدق مـا يسمعه منى ، أو كأنه يتصور أننى أمزح ، ثم قال :

- ..لكن البروتوكول عندنا يضع رئيس مجلس الشـيوخ "الكونجرس" فى نفس مستوى أعضاء المجلس، فـلا يتميـز عنهم بشيء فيما عدا إدارة الجلسات.. فهو ليس أعلى مـنهم رتبة..

قلت :

- هذا هو الحال فى الولايات المتحدة ، لكنه حال يختلف فى مصر ، خصوصا إذا كان رئيس المجلس هو أنور السادات

واستطردت :

- لقد جئت إلى أسوان لكى تسألنى رأيى، وهـذا هـو الرأى، لك أن تأخـذ بـه أو لا تأخـذ، فهـذا شـأنك وشـأن حكومتك ..

وأسرع جيمس يعتذر عن "تسرعه" ثم عاد يسألنى :

- لقد فهمت وجهة نظرك فى مسألة حجز "الجناح" لكننى لم أفهم لماذا تقترح أن يكون هذا الجناح فى دور يختلف عـن الدور الذى تقع فيه بقية غرف أعضاء الوفد .. ؟

قلت :

- السادات يحب أن يشعر بأنه متميز فى كل شيء، ولن يشعر بأنه متميز إذا كانت بقية الغرف تقع فى الدور الذى يقيم فيه حتى وأن كان هو يقيم فى أحد الأجنحة.. أنـه يحـب أن يشعر بأن أعضاء الوفد سوف "يصعدون" لمقابلته، أما إذا كان يقيم معهم فى نفس الدور، فلن يحس "بحلاوة" هذا الشعور ..

واضطر الرجل أن يسجل ما أقول فى مفكرته ، وأن كان قد فعل ذلك وهو يهز رأسه كمن لا حول له ولا قوة ..

وعدت أسأله :

- وهل أعددتم موكبا من الدراجات البخارية يتقدم سيارته فى طريقها من المطار إلى الفندق .. ؟

وقال هالسما بانفعال :

- أننا لا نعرف هذه "المواكب" فى الولايات المتحدة.. بل أن الحكومة الأمريكية لا تمتلك أصلا مثل هذه الدراجات البخارية، فكيف تريد أن نفعل شيئا مستحيلا.. ثم أن السادات ليس رئيس دولة، وليس ضيفا للحكومة، وإنما هو ضيف للكونجرس كما قلت لك ..

قلت :

- إذن افعلوا ما تشاءون ، ولا تسألنى عن شيء ..

وعاد الرجل يعتذر فى تواضع ويقول :

- لقد أردت أن أوضح لك - فقط - أننا لا نستخدم هذه الدراجات البخارية فى الاستقبالات ، ومع ذلك فسوف اقترح على حكومتى هذا الرأى ، وأن كنت لا أعرف من أين سوف يجيئون بالدراجات البخارية فى واشنطن ..

قلت :

- فيما أعلم أن شرطة المرور عندكم تستخدم الدراجات البخارية، أو هذا على الأقل ما نراه فى أفلام السينما ..

قال :

- نعم .. هذا صحيح ..

قلت :

– إذن المسألة بسيطة .. ماذا يضيركم لو أن أربعة من رجال شرطة المرور تقدموا سيارة أنور السادات فى طريقها من المطار إلى الفندق فى وسط المدينة .. ؟؟

وأسرع هالسما إلى مفكرته يدون هذا " الحل السعيد " وكأنه قد اكتشف مرة أخرى سر انشطار الذرة .. ؟

قلت :

– ويجب أن تضعوا علما مصريا "يرفرف" على سيارته أثناء انتقالاته فى العاصمة، فهذا من جهة يجذب انتباه المارة إليه وهو يحب ذلك، ومن جهة أخرى يجعله يشعر بأنه "شخصية هامة" وهو – على الأقل – ما يشعر به من قرارة نفسه ..

قال :

– وكيف نضع علما على سيارة من سيارات الكونجرس، وهى سابقة لم تحدث من قبل .. ؟

قلت :

– إذن اتركوه يركب سيارة السفير المصرى من المطار إلى الفندق ، والسيارة عليها علم من تلقاء نفسها ، ولن يهمه هو أن يركب سيارة السفير ، أم سيارة الكونجرس ، مادام العلم المصرى "يرفرف" عليها طوال الطريق ..

* * * * *

هكذا استمر الحديث بينى وبين جيمس هالسما ، وقد استغرق زمنا امتد إلى ما بعد منتصف الليل ، وكان يتضمن – بطبيعة الحال – شيئا من الدعابة ، لكنها كانت دعابة "مدروسة" أردت بها أن أمتحن معرفتى لشخصية أنور

السادات، وأن أضع موضع التطبيق كل ما لاحظته عليه خلال فترة اقترابى منه من خلال العمل ..

وساعدنى على ذلك طبيعة فى الأمريكيين تجعلهم يهتمون بأدق التفاصيل فى دراسة الشخصيات التى يتعاملون معها ، ويتصورون أنهم بذلك يقتربون من تحقيق أهدافهم من هذه الشخصيات ، ماداموا يجرون تحليلا دقيقا – وبأحدث الطرق العلمية – لمزاج وطبيعة من يتعاملون معهم ..

وربما يكون من الصدق أن نعترف بأن الأمريكيين قد حققوا – بهذه الطريقة – نجاحا كبيرا مع أنور السادات ، ليس فقط خلال زيارته الأولى للولايات المتحدة فى مطالع عام ١٩٦٦ وإنما أيضا خلال زياراته التالية ، خصوصا ما تم منها بعد أن تولى مسئوليات الرئاسة فى مصر فى السبعينات ..

وربما يكون من الصدق أيضا أن نسجل أن أنور السادات نفسه قد فهم العقلية الأمريكية إلى حد كبير ، وأنه قد وظف معرفته هذه فى التعامل معهم طوال مدة رئاسته.

ولأول مرة فى التاريخ يزور مصر رسميا اثنين من رؤساء الجمهورية فى الولايات المتحدة – هما نيكسون وكارتر – وكان ذلك فى عهد السادات.

ولأول مرة فى التاريخ يشترك ثلاثة من رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية –هم كارتر ونيكسون وفورد– فى جنازة رئيس دولة أجنبية، وكان ذلك فى جنازة السادات..!

American Embassy
Cairo

December 26, 1956

Dear Mr. Talaat:

Thank you very much for the pictures of the reception which you gave for Dorothy Thompson. The pictures will be an excellent reminder of a pleasant occasion.

Sincerely,

Raymond A. Hare

Mr. A. Talaat,

Vice Director,

Information Department,

Islamic Congress.

السيناريو .. والمسرحية

كان من المقرر أن أزور الولايات المتحدة فى نهاية عام ١٩٦٥، لكن هذه الزيارة تأجلت لأسباب خارجة عن أرادتى حتى بداية عام ٦٦ ، فوصلت إلى واشنطن فى أوائل شهر فبراير لقضاء بضعة أيام ، استأنف بعدها زيارتى لبقية الولايات الأمريكية فى برنامج أحاضر فيه عن السد العالى ..

وكان السفير المصرى فى واشنطن وقتها هو الدكتور مصطفى كامل ، الذى سبق أن درس لى القانون العام فى كلية الحقوق ، قبل انتقاله للعمل فى السلك الدبلوماسى.

وكنت فى زيارة تحية للدكتور مصطفى كامل فى مكتبه، عندما حضر لزيارته أيضا الأستاذ محمد عبد السلام الزيات[١]، الذى كان وقتها مديرا للإدارة التشريعية فى مجلس الأمة المصرى، ووصل إلى واشنطن قبل وصول السادات والوفد البرلمانى بأيام ليطمئن على اللمسات الأخيرة لترتيبات الزيارة التى تصادف أن تبدأ خلال إقامتى- أنا أيضا- فى واشنطن..!!

وحمل عبد السلام الزيات معه إلى واشنطن حقيبة صغيرة تضم بعض الحاجيات الشخصية للسادات، لوضعها فى الجناح المخصص له فى الفندق قبل وصوله، فقد تعود السادات

---

(١) أصبح نائبا لرئيس الوزراء فى عهد السادات ثم اتهم - فى عهده - بالتخابر مع دولة أجنبية.

أن يعد له كل شيء فى جناحه قبل أن يدخل إليه ، ابتداء من فرشاة الحلاقة.. ومعجون الأسنان.. وانتهاء بملابس النوم والنعل الذى يستخدمه داخل الحجرة.

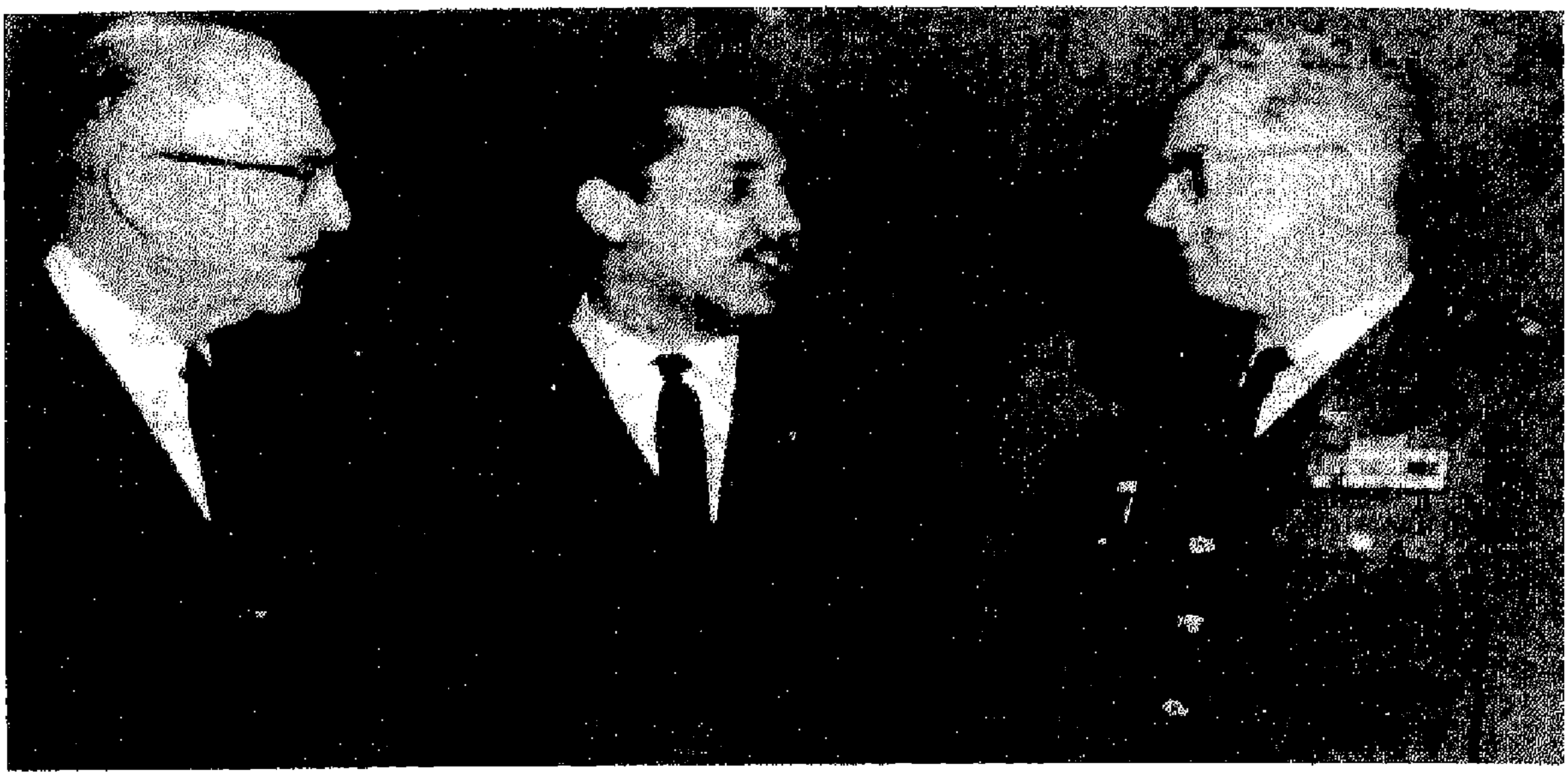

المؤلف أثناء زيارته للولايات المتحدة الأمريكية
مع السناتور ملتون بونج
عضو مجلس الشيوخ الأمريكي والجنرال كاسدي
قائد سلاح المهندسين في الجيش الأمريكي

وكان فى زيارة السفير المصرى يومها أيضا الأستاذ كمال الملاخ الذى كان يستعد ليبدأ هو الآخر برنامجا لزيارة يحاضر خلالها عن المصريات ..

وانتهز السفير مصطفى كامل الفرصة وطلب إلينا أن نكون فى اليوم التالى فى انتظار السادات فى المطار ، لننضم إلى بعض أفراد من الجالية المصرية فى واشنطن طلب منهم السفير أن يكونوا أيضا فى انتظار السادات ..

وحاول الأستاذ كمال الملاخ أن يعتذر باضطراره للسفر في صباح اليوم التالى إلى مدينة أمريكية أخرى ، لكن السفير أوضح له أنه من الأوفق أن يؤجل سفره يوما واحدا حتى يكون ضمن المستقبلين، مادام موجودا بالفعل فى واشنطن ، وقد نزل الأستاذ الملاخ على رأى السفير ، وأن كان قد ظهر عليه أنه لم يكن متحمسا تماما للفكرة .. !

واتفقنا على أن نلتقى صباح اليوم التالى فى مطار واشنطن ، على أن ينصرف كل منا بعد وصول السادات مباشرة إلى عمله.

وكان المستشار الصحفى فى واشنطن وقتها هو الزميل الأستاذ محمد حبيب ، وكان له دور هام ، ومسئولية كبيرة ، فى تغطية الزيارة إعلاميا ..

وخلال عشاء خاص دعانى إليه الزميل محمد حبيب عشية وصول أنور السادات ، لم يخف ما كان ينتابه من قلق بسبب الفتور الذى شعر به من أجهزة الإعلام الأمريكية بالنسبة لزيارة السادات.

وكنا نعلم أن معيار نجاح الزيارة - عند السادات - هو مدى اهتمام أجهزة الإعلام الأمريكية بها ، فليس المهم من سوف يقابلهم خلال الزيارة ، ولا ما سوف يراه هناك ، لكن الأهم لديه هو أن تنشر الصحف أخباره وصور مقابلاته ، بصرف النظر عن ما تسفر عنه هذه المقابلات .. !! .

ولقد حاول محمد حبيب جاهدا أن يقنع بعض مصورى الصحف الأمريكية بالاشتراك فى استقبال السادات فى المطار ، لكنهم اعتذروا جميعا لانشغالهم " بما هو أهم " ووعده بعضهم بحضور حفل الاستقبال الذى سوف تقيمه السفارة المصرية لتكريمه فى اليوم التالى .. !!

وكانت هذه المشكلة تؤرق محمد حبيب، فهو لا يتصور كيف يصل رئيس مجلس الأمة المصرى إلى العاصمة الأمريكية، دون أن يكون فى انتظاره بعض مصورى الصحف، ودون أن تسطع فى ساحة المطار أضواء عدسات التصوير..؟!.

ووجدت نفسى أعود إلى دور "المخرج المجهول" من جديد واقترح عليه أن يستأجر بعض المصورين المحترفين – وهم كثيرون – ليكونوا فى استقبال السادات فى المطار ، لتسجيل صور وصوله ، وقلت له :

– المهم أن تنطلق أضواء عدسات التصوير لحظة وصوله، وأن تخطف الأبصار أنوار "الفلاش" ولن يعرف أحد وقتها إذا كان المصورون هم مندوبى الصحف، أم أنهم مصورون محترفون .. !!

ولقد تردد محمد حبيب فى قبول الاقتراح ، لكنه سارع فى الصباح الباكر من اليوم التالى إلى تنفيذه ، فلم يكن لديه بديل آخر ، ولم يكن يستطيع أن يحمل مندوبى الصحف حملاً على أن يكونوا فى استقبال السادات وهو يهبط على أرض مطار واشنطن ليبدأ أول زيارة له للولايات المتحدة .. !!

وفى صباح اليوم التالى كنا نقف صفا فى صالة المطار ، فى انتظار وصول السادات .. وكان كمال الملاخ يقف إلى يمينى ، بينما يقف عبد الموجود حسن ، مندوب الجامعة العربية إلى يسارى ..

ودخل السادات إلى صالة المطار يرتدى "بالطو" مقفول بالأزرار حتى رقبته ، ومن خلفه زوجته السيدة جيهان ، يتبعهما بقية أعضاء الوفد ، ومنهم فيما اذكر السيد / مصطفى كامل مراد ، والسيدة كريمة العروسى ..

وبدأ السادات يصافح مستقبليه الذين وقفوا صفا في انتظاره ، ومعه المستر رايموند هير مساعد وزير الخارجية الأمريكي والسفير مصطفى كامل يقدمان إليه المستقبلين ..

وبعد أن صافح السادات كمال الملاخ، جاء دورى، فمد يده لى وقال:

- وأنت ماذا تفعل هنا .. ؟

قلت :

- أنا هنا فى انتظارك ..

فسألنى السادات مداعبا :

- جئت من مصر خصيصا لانتظارى .. ؟؟

وقبل أن أجيب ، كان قد تقدم خطوة لمصافحة عبد الموجود حسن ، ومن بعده بقية المستقبلين ..

وكانت هذه هى المرة الأولى التى أشرف فيها بلقاء السيدة جيهان ، التى لم تستطع أن تخفى انطباعها بالدهشة وهى تمد يدها لمصافحتى .. ولعل مصدر "دهشتها" أنها كانت تسمع عنى كثيرا من صديقتها السيدة (م) ، فتصورت أنها عندما تلقانى فإنها سوف تواجه "وحشا كاسرا" .. !!

ومضت أمامى فصول المسرحية التى شاركت فى إخراجها - عن غير قصد - ذات يوم من خريف عام ١٩٦٥ ، فالدراجات البخارية التابعة لشرطة المرور تتقدم سيارة السادات ، والعلم المصرى يرفرف فوق السيارة ، والمستر رايموند هير فى مقدمة مستقبليه، والسناريو يمضى تماما كما وضع فى أسوان ، ويزيد عليه أضواء آلات التصوير التى كانت فى انتظاره ، والتى دفع ثمنها محمد حبيب من ميزانية المكتب الصحفى المصرى فى العاصمة الأمريكية .. !!

SOCIETY **The Evening Star** HOME D

WASHINGTON, D. C., FRIDAY, FEBRUARY 25, 1966

EXCLUSIVELY YOURS

Friendly Era for Egypt and U.S.

BY BETTY BEALE

وكتبت بعض الصحف الأمريكية عن السادات، لكنها كتبت أكثر عن السيدة جيهان، وركزت فى كتاباتها على أنها "نصف إنجليزية"، وكانت هذه هى المرة الأولى التى يقرأ فيها السادات مقالات فى صحف الغرب تتحدث عن أناقته، وتقول عنه أنه "فى الحقيقة أكثر أناقة فى الواقع منه فى الصور..".

ولقد حاول السادات خلال زيارته الأولى للولايات المتحدة أن يوثق علاقته ببعض الشخصيات العامة ، وتصور أنه قد توصل إلى مفاتيح العقلية الأمريكية ، وزار الرئيس الأمريكى - ليندون جونسون وقتها - زيارة غير رسمية فى البيت الأبيض صحبته فيها زوجته السيدة جيهان ، ولم يشترك فى هذه الزيارة أعضاء الوفد البرلمانى ، وقدم لجونسون وزوجته " طاقم شاى " من الفضة الخالصة تحملت بثمنه ميزانية مجلس الأمة المصرى ..

ومن دمنا قد أشرنا إلى الزيارة غير الرسمية التى قام بها السادات وزوجته إلى الرئيس السابق ليندون جونسون ، فإن الحديث يجرنا إلى قصة طريفة وقعت خلال تلك الزيارة.

فعندما كان الضيف ومضيفه يتناولان الشاى فى حديقة البيت الأبيض، انتهز الرئيس الأمريكى الفرصة، وقال للسادات :

- أنا أعلم أنكم تختلفون معنا فى بعض وجهات النظر السياسية، وهذا حقكم ، فلكل منا آراؤه ومصالحه ، لكن لماذا تنشرون الغسيل "الوسخ" خارج النوافذ ، على حد تعبير المثل الشائع؟؟ لماذا لا تبقى خلافاتنا محصورة داخل القنوات الدبلوماسية فلا نعلنها على الناس ..؟؟

ويبدو أن السادات قد اقتنع بما اقترحه جونسون ، أو لعله أراد أن يثبت له أنه يستطيع أن يلعب دورا فى مسار العلاقات بين البلدين، فروى هذه القصة بتفاصيلها للرئيس جمال عبد الناصر ، عقب عودته إلى مصر بعد انتهاء زيارة الوفد البرلمانى للولايات المتحدة ..

وكانت المفاجأة للسادات أولا ، وللرئيس الأمريكى ثانيا ، عندما انتهز الرئيس عبدالناصر فرصة أول خطاب عام يلقيه ، وكان ذلك فى ٢٣ يوليو عام ٦٦ حيث احتشدت الآلاف لسماعه ، فإذا به يقول ما معناه :

- أن الأمريكيين يريدون منا أن لا نعلن على الشعب خلافاتنا معهم ، ويقولون لأنور السادات عندما كان فى أمريكا : لماذا ننشر الغسيل "الوسخ" خارج النوافذ ..

وأنا أقول للأمريكيين أننا لا نخفى شيئا عن الشعب ، وسنروى للشعب كل شيء .. !!

ولقد مضت سنوات طويلة قبل أن يستطيع السادات أن يحقق للأمريكيين ما طلبوه ، فقد اختلفت الصورة تماما فى التعامل معهم منذ تولى الرئاسة فى مصر .. !

وأصبح رئيسا ..!

كان اتصالى محدودا بأنور السادات بعد أن تولى رئاسة الجمهورية ، وكنت طوال فترة رئاسته أكاد اتنبأ بكل خطوة يخطوها ، وبكل قرار قبل أن يتخذه .. !!

فشخصية السادات من الصعب فى البداية فهمها، لكنها تصبح بمضى الوقت كتابا مفتوحا لكل من يتصل به عن قرب..

ولعل الصفحات السابقة تسلط بعض الضوء على جوانب من شخصية السادات ، ظلت كما هى لم تتغير بمرور الزمن، كما أن جوانب أخرى من هذه الشخصية قد نضجت وتجاوزت دائرة الأحقاد والاهتمامات الصغيرة ..

وفى ظنى أن بعض المشتغلين بالحياة العامة فى مصر ، قد دفعوا السادات دفعا إلى ما انتهى إليه ، لمجرد أنهم كانوا يعرفون جيدا مفاتيح شخصيته ، ويقدرون ردود فعله بصورة قريبة جدا من الحقيقة، وقد استغل بعضهم هذه المعرفة وهذا التقدير ليصلوا به إلى الطريق المسدود الذى وصل إليه فى ٥ سبتمبر من عام ١٩٨١ .

لكننى -من الناحية الشخصية- أسجل للسادات موقفا كريما اتخذه عندما عرف وهو رئيس للجمهورية بمرض شقيقى الذى كان تحت العلاج فى مستشفى القوات المسلحة بالمعادى، فأمر بسفره لاستكمال علاجه على نفقة الدولة فى الخارج، لولا أن قضاء الله قد سبق كل قضاء..

ومع أن علاقتى بالسادات ، خلال رئاسته للجمهورية ، كانت محدودة جدا ، إلا أننى أرى من الواجب أن أسجل واقعتين محددتين كان فيهما مجاملا إلى أقصى الحدود ..

فعندما وقعت جريمة اغتيال يوسف السباعى فى قبرص، كنت وقتها أعمل مستشارا لشركة طيران الخليج فى دولة البحرين، وقد وقعت جريمة الاغتيال وقع الصاعقة على المصريين العاملين فى الخارج، واستفزت مشاعرهم إلى أقصى الحدود، فمهما كان الرأى فى نظام الحكم وقتها، فقد شعر المصريون فى خوارج بلادهم بأنهم يتعرضون لموجة من الإرهاب الفكرى، تصل إلى حد التصفية الجسدية على يد عصابات مأجورة تتصور أنها تستطيع أن تفرض على مصر - بالإرهاب- مسار سياستها الخارجية، وأنها تستطيع برصاصة طائشة -هنا أو هناك- أن تكون فوق إرادة دولة عريقة مثل مصر، إذا لم نقل أعرق دول المنطقة على الإطلاق ..

وعندما أرسل السادات طائرة من طراز "هرقل" تحمل بعض قوات الصاعقة لتخليص الرهائن في مطار لارناكا ، تداعت الأحداث وأدت إلى تدمير الطائرة ، ووقوع ضحايا من أفراد قوة الصاعقة.

وفى إيمان كامل برفض منطق الإرهاب، وفى أسى عميق على ضحايا الحادث، بعثت للسادات برسالة تعزية قلت فيها:

"أسمح لى يا سيادة الرئيس أن أقدم إليكم العزاء فى شهدائنا الأبطال الذين راحوا ضحية الغدر على أرض مطار لارناكا ، وحسبنا وحسبهم أنهم قضوا رجالا يقاتلون من أجل كرامة الوطن وأمن المواطنين.

بسم الله الرحمن الرحيم

الرئيس

السيد / احمد طلعت

مستشار العلاقات العامة بشركة طيران الخليج

تحية طيبة .. وبعد ،

تلقيت بامتنان .. الرسالة .. التي بعثتم بها الي.. والمصريين فيها عن صادق عزائكم .. ومواساتكم .. فى فقد ابنائي الابطال رجال الصاعقة .. الذين استشهدوا فى مطار لارناكا.

وانى لأقدر لكم تبرعكم بمبلغ خمسين دولارا .. مساهمة منكم فى مشروع .. " دولار هرقل " .. الذى تقترحون عمله .. ليساهم فيه المصريون فى الخارج تعويضا للخسارة المادية .. التى نجمت عن معركة المطار سالفة الذكر .

ومع اعتزازى بمشاعركم الوطنية .. وحرصكم على مصالح وطنكم .. وتعبيركم عن أحاسيس الوفاء لمصرنا الغالية .. أبعث اليكم بخالص الشكر .. مقرونا بأطيب التمنيات بموفور الصحة .. والتوفيق ...

رئيس جمهورية مصر العربية

" وأسمح لى يا سيادة الرئيس أن أقترح مشروع " دولار هرقل " يساهم فيه المصريون المقيمون فى الخارج - قدر طاقتهم - تعويضا للخسارة المادية.

"وأتشرف بأن أرفق شكا بمبلغ خمسين دولارا مساهمة منى فى هذا المشروع راجيا أن تتفضلوا بقبول هذه المشاركة المتواضعة.

وكان رد فعل السادات تماما كما توقعته ، فقد بعث إلى برسالة خاصة تعبر بصدق عن مشاعره التى اهتزت بعنف بعد ذلك الحادث.

وأسجل أيضا واقعة ثانية لها هى الأخرى دلالتها ..

فعندما عدت إلى مصر - بعد انتهاء عملى فى البحرين - مارست العمل السياسى من خلال حزب معارض ، وكانت جريدة الحزب تنشر فى كل أسبوع مقالى السياسى فى نقد الحزب الحاكم ، الذى يرأسه أنور السادات ..

ثم اشتدت حملة السادات على أحزاب المعارضة، ولم تعد تخلو خطاباته العامة من تحامل ظاهر على الممارسة الحزبية، وضيق لم يعد قادرا على أن يخفيه، مما كان يكتب وينشر فى نقد سياساته، وفى نقد بعض تصرفاته وتصرفات أسرته..

وكلنا يذكر الألفاظ الجارحة التى استخدمها السادات فى حملته مثل.. سفالات.. وبذاءات.. إلى غير ذلك مما لا يليق

بحوار ديمقراطى أو يتفق مع كرامة المنصب الذى كان يشغله ..

وكتبت إلى السادات خطابا شخصيا ، أقول له فيه أن تجاوز بعض المعارضين لأصول الحوار – أن كان هذا التجاوز قد وقع – لا يبرر هذه الحملة الضارية على الممارسة الحزبية فى مجموعها ، ولا يبرر أن يؤخذ المعارضون الشرفاء بجريرة قلة جهلت – أو تجاوزت – أدب الحوار ..

وقلت فى خطابى للسادات :

" أن وطنية المعارضين ليست فى حاجة إلى شهادة من أحد ، وأن استخدامك لصيغة الجمع فى حديثك عن المعارضة ظلم لا أحب لك أن تقع فيه ..

وكنت قد قررت بينى وبين نفسى أن أعتزل العمل السياسى ، بعد أن أصبحت غير مقتنع بجدواه فى ظل الظروف التى كانت تمر بها التجربة الديمقراطية ، والتى وصلت إلى حد المهاترة بين رئيس الجمهورية من جانب ، وبعض العناصر المعارضة على الجانب الآخر ..

وكان خطابى إلى السادات مقدمة لهذا الاعتزال ، أردت به أن أسجل موقفا ، وأن أبرر به قرارا كنت قد اتخذته ..

وكانت المفاجأة عندما اتصل بى السيد محمود عبد الناصر -الأمين العام لرئاسة الجمهورية وقتها- ليبلغنى بأنه مكلف بأن ينقل لى رسالة من الرئيس السادات، وكان مضمون الرسالة أن خطابى قد وصل إلى الرئيس، وأنه يؤكد لى أنه لم يقصد أن يستخدم "صيغة الجمع" عندما تحدث عن الممارسة الحزبية، وأنه يقصد فقط بعض العناصر التى "تجاوزت" وبأنه يحمل لى شخصيا كل التقدير ويطلب منى أن أبقى فى مكانى..

ولست أعرف أى انطباع قد ترسب فى نفس القارئ عن شخصية السادات مع نهاية هذا الفصل ، لكننى أكرر مرة أخرى، أنها مجرد "رواية واقعية" لتجربة خاصة بينى وبين رجل شاءت الأقدار أن يصبح رئيسا لمصر، وأن يلعب دورا هاما فى مجرى تاريخها السياسى الحديث ..

وأنا على ثقة من أنه لم يأت بعد الوقت ليصدر التاريخ حكمه على فترة رئاسة السادات، وأن التاريخ عندما يكتب فى يوم من الأيام عن هذه الفترة ، لابد وأن يأخذ فى اعتباره " شخصية السادات " بكل ما لها وما عليها ، وبكل ما أثر فيها، وما تأثرت به ، مادام قدر مصر – منذ مطلع الخمسينات – أن تحل " شخصية الحاكم " محل إرادة الشعب .. !!

النقراشى باشا

الزعيم .. والمعلم ..

في عام ١٩٤٦ كنا طلبة في مدرسة طنطا الثانوية، وكان طلبة المدرسة يعكسون كافة الأطياف السياسية في مصر وقتها، لم يكن اعتناق المبادئ السياسية لطلبة المدارس الثانوية والجامعات محظورا كما هو الآن.. وإنما كانت في كل مدرسة أو جامعة لجان لشباب الأحزاب التي كانت قائمة وقتها.

وفي طنطا الثانوية كانت لجنة الشباب السعدي يرأسها الزميل عبد المنعم فايد، وكانت بوادر التوتر قد ظهرت بين الأخوان المسلمين وحكومة الحزب السعدي التي يرأسها الزعيم الشهيد محمود فهمي النقراشي باشا .. وكان من الطبيعي أن تدور مناقشات حادة في فناء المدرسة بين الطلبة السعديين والطلبة المنتمون إلى جمعية الأخوان المسلمين التي نشأت كجمعية دينية ، ثم تحولت إلى العمل السياسي ، وهو ما لم تكن الأحزاب السياسية راضية عنه باعتباره خروجا على أهداف الجمعية وتدخلا للدين في أمور السياسة، وهو ما كان مرفوضا تماما في ذلك الوقت.

وكانت مناقشات الطلبة تنهي في بعض الأحيان بمشادات كلامية قد تصل إلى حد استعمال الأيدي .. !!

وفي يوم كانت المناقشات قد احتدمت إلى حد إخراج طلبة الأخوان سلاسل وجنازير طاردوا بها عبد المنعم فايد وهو يجري أمامهم للاحتماء بأحد الفصول الخالية .. فلما دخل إلى الفصل وجد طلبة الأخوان يستمرون في مطاردته بسلاسلهم وجنازيرهم ، فأخرج من جيبه مسدس صوت كان يخفيه في ملابسه وأطلق منه طلقة لتخويف المهاجمين ..

وأحدث صوت المسدس هلعا بين الطلبة ، وجرى المدرسون ناحية مصدر الصوت وأمسكوا بعبدالمنعم فايد واقتادوه إلى غرفة الناظر (مدير المدرسة الآن) وكان وقتها الأستاذ السيد يوسف الذى أصبح فيما بعد وزيرا للتربية والتعليم فى عهد جمال عبد الناصر .

ولم يكن أمام الأستاذ السيد يوسف إلا أن يفصل الطالب عبد المنعم فايد فصلا نهائيا بعد أن استخدم سلاحه داخل المدرسة وأخل بالنظام ، ولم يشفع له أنه كان يدافع عن نفسه من وطأة السلاسل والجنازير .. !!

وغضب الطلبة السعديون من قرار الناظر ، وقرروا التضامن مع زميلهم ورفع الأمر إلى دولة رئيس الحكومة – النقراشى باشا – الذى هو فى نفس الوقت رئيس حزب السعديين، كما أن وزير المعارف العمومية (التربية والتعليم الآن) هو الآخر من أقطاب الحزب السعدى الذى دافع عبد المنعم فايد عن مبادئه .. ومواقفه .

وقررنا أن يسافر من بيننا وفد يقابل دولة رئيس الوزراء لعرض الأمر عليه مع الرجاء بإلغاء قرار ناظر المدرسة، وعودة زميلهم، ورئيس لجنتهم، إلى صفوف الدراسة.

سافرنا بالقطار من محطة طنطا، فلما وصلنا محطة باب الحديد قطعنا شارع إبراهيم باشا (الجمهورية الآن) مشيا على الأقدام حتى وصلنا إلى مبنى وزارة الداخلية حيث يوجد دولة النقراشى باشا الذى كان يجمع إلى منصبه منصب وزير الداخلية.

وتوجهنا مباشرة إلى مكتب الأستاذ كامل الدماطى مدير مكتب الرئيس، وزعيم الشباب السعدى فى ذات الوقت، وهناك طلبنا من الأستاذ كامل أن يخطر دولة رئيس الوزراء برغبتنا فى أن نتشرف بمقابلته .. وكان كامل الدماطى يعلم بطبيعة الحال بما جرى فى طنطا الثانوية ، وبالهدف من زيارتنا..

وبعد قليل استقبلنا دولة النقراشى باشا واقفا فى غرفة مكتبه واضعا إصبع الإبهام فى جيب الصديرى، فقد كان الوقت شتاء.. وأمام الرئيس ألقى أحدنا خطبة "عصماء" شرح من خلالها إيماننا بمبادئ الهيئة السعدية، ودفاعنا عنها وتصدينا لكل خصومها، ثم تطرق لما حدث للزميل عبد المنعم فايد بينما كان يدافع عن نفسه، واستغرب أن يتم فصل الزميل من الدراسة فى عهد وزارة الحزب السعدى التى يرأسها النقراشى باشا، ويشغل منصب وزير المعارف فيها واحد من أقطاب الحزب..

كانت خطبة بليغة ، حتى أننا كدنا أن نصفق للزميل بعد إلقاء كلمته - إعجابا وتأييدا - لولا أننا كنا فى مكتب رئيس الوزراء بما يفرضه ذلك من التحفظ فى إبداء المشاعر والانفعالات، لكننا كنا نتصور أن النقراشى باشا بعد سماعه تلك الخطبة العصماء ، سوف يصدر قراره فورا بإلغاء قرار الناظر وعودة عبد المنعم فايد إلى المدرسة ..

وبدأ النقراشى باشا يوجه حديثه إلينا فقال :

- أشكركم على هذه المشاعر الطيبة نحو حزبكم، لكننى أود أن أذكركم بأننى رئيس وزارة المصريين جميعا، ولست

رئيس وزارة السعديين فقط.. وكان الأولى بكم وأنتم تعتنقون مبادئ الحزب السعدى أن تكونوا قدوة فى احترام النظام وقدسية المدرسة، لا أن تجعلوا منها مكانا يختل فيه الأمن والنظام..

وأنهى النقراشى باشا اللقاء بالقول بأنه يجب علينا جميعا أن نحترم قرار ناظر المدرسة .. لا أن نلغيه ..

وعدنا إدراجنا إلى طنطا بدرس تعلمناه من رئيس الوزراء بأن الحاكم يجب أن يكون للشعب كله ، لا أن ينحاز إلى فئة منه دون غيرها حتى ولو كانت أعضاء فى حزبه ، وأن هذه الرؤية هى الترجمة الحقيقية لشعار الحزب وهو : " الوطنية عدل وكرامة "، وهو الشعار الذى أطلقه أحمد ماهر باشا عندما ألف حزب الهيئة السعدية .. !!

كانت هذه هى المرة الأولى التى أقابل فيها دولة النقراشى باشا، أما المرة الثانية فكانت فى عام ١٩٤٨ ، وكنت وقتها قد انتقلت من طنطا الثانوية إلى مصر الجديدة الثانوية فكثر ترددى على نادى سعد زغلول ، مقر الحزب السعدى ، لأشارك فى كل الاجتماعات التى كانت تعقد هناك لشباب الحزب.

وفيما بين هذين العامين ٤٦ ، ٤٨ كان النقراشى باشا قد عرض قضية استقلال مصر من الاستعمار البريطانى على مجلس الأمن الدولى فى بادرة كانت الأولى من نوعها بعد

الحرب العالمية الثانية، وخروج الحلفاء منها منتصرين، ومن بينهم الأمبراطورية البريطانية التى لا تغرب عنها الشمس ..

اجتماع للشباب السعدي بنادي سعد زغلول
برئاسة كامل الدماطي زعيم الشباب السعدي

كانت مصر قد ارتبطت مع بريطانيا بمعاهدة "صداقة وتحالف" وقعها عن مصر مصطفى النحاس باشا رئيس حزب الوفد فى ٢٦ أغسطس عام ١٩٣٦، وكانت تلك المعاهدة قد وقعت قبل قيام الحرب العالمية الثانية بثلاث سنوات، فعكست ما كان يكتنف المجتمع الدولى وقتها من مخاوف من تهديدات الفاشية فى إيطاليا والنازية فى ألمانيا لبقية دول أوربا، واستعداد هاتين الدولتين لحرب محتملة بالنظر إلى التسلح الهائل الذى اتجهت إليه، والتهديدات المستمرة لجيرانهما فى أوربا ..

وانعكست حالة التوتر هذه على بنود المعاهدة المصرية البريطانية التى وقعت فى عام ١٩٣٦، فتضمنت وجودا عسكريا بريطانيا فى القاهرة والإسكندرية إلى جانب القاعدة العسكرية البريطانية فى قنال السويس ، كما تعهدت مصر بموجب المعاهدة بأن تضع موانيها ومطاراتها وطرقها تحت تصرف القوات البريطانية إذا ما نشبت حرب تحتاج فيها بريطانيا إلى هذه التسهيلات ..

وكان النحاس باشا – بالرغم من كل هذه الالتزامات فى المعاهدة – قد وصفها بأنها "معاهدة الشرف والاستقلال" بينما اكتفى أحمد ماهر باشا رئيس مجلس النواب وقطب حزب الوفد الكبير بوصف المعاهدة بأنها "خطوة على طريق الاستقلال" ولعل الاختلاف حول تقييم المعاهدة كان أحد الأسباب الهامة لانفصال السعديين عن الوفد – فيما بعد – وإعلان حزبهم الجديد " حزب الهيئة السعدية ".

وكانت معاهدة ١٩٣٦ تتضمن نصا يقول بأن مدة المعاهدة عشرون عاما ويجوز لأى من الطرفين المتعاقدين بعد مرور عشر سنوات أن يطلب تعديل أحكامها بشرط استقرار الموقف الدولى وزوال خطر الحرب ..

واشتعلت الحرب العالمية الثانية فى سبتمبر من عام ١٩٣٩ واستفادت بريطانيا خلال الحرب من التسهيلات التى التزمت بها مصر طوال مدة الحرب التى استمرت حتى عام ١٩٤٥ باستسلام جبهة المحور (إيطاليا وألمانيا).

وفى عا م ١٩٤٦ ، أى بعد عشر سنوات من إبرام المعاهدة ، وانتهاء الحرب العالمية الثانية التى خرجت فيها

بريطانيا منتصرة ، تقدمت الحكومة المصرية بطلب إلى الحكومة البريطانية للدخول فى مفاوضات لتعديل المعاهدة ، كما نصت بنودها على ذلك.

واستجابت بريطانيا إلى الطلب المصرى وأرسلت وفدا للتفاوض مع الحكومة المصرية برئاسة اللورد ستانسجيت ، ودارت المفاوضات لشهور طويلة تخللتها المماطلات البريطانية المعهودة ، وعودة وفدها إلى لندن للتشاور ، ثم التفاوض مرة أخرى وهكذا حتى مل المصريون من هذه المراوغات ، وقرر رئيس الحكومة المصرية – النقراشى باشا – قطع المفاوضات وعرض القضية المصرية على مجلس الأمن الدولى باعتبار أن استمرار وجود القوات العسكرية البريطانية فى مصر يهدد الأمن والسلم الدوليين للخطر.

كانت هذه هى المرة الأولى التى تشكو فيها دولة صغيرة دولة عظمى ، تملك حق الفيتو فى مجلس الأمن باعتبارها عضوا دائما ، وأن تطالب هذه الدولة الصغيرة باستقلالها على مسمع من المجتمع الدولى كله ..

ومثل مصر فى جلسات عرض النزاع على مجلس الأمن وفد مصرى برئاسة النقراشى باشا رئيس الوزراء ووزير الخارجية ، كما مثل بريطانيا وفدها الدائم فى الأمم المتحدة برئاسة السير إلكنسدر كادوجان.

وانحازت أمريكا وفرنسا فى جلسات المجلس لبريطانيا، وانحاز الوفد السوفيتى برئاسة أندرية جروميكو ووفد سوريا برئاسة السيد/ فارس الخورى للمطالب المصرية. وبعد التهديد باستعمال حق الفيتو (النقض) لأى قرار يصدر لصالح مصر،

انسحب الوفد المصرى تاركا القضية على جدول أعمال المجلس.

ومع أن مجلس الأمن الدولى لم يصدر قرارا لصالح مصر ، فأن الضغط الدولى قد أجبر الحكومة البريطانية على إجلاء جيشها عن القاهرة والإسكندرية ، مع الاحتفاظ فقط بقاعدة عسكرية حول قناة السويس إلى حين التوصل إلى معاهدة جديدة.

وفى ليلة ١٤ مايو عام ١٩٤٨ دخل الجيش المصرى إلى فلسطين فى حربه الأولى مع إسرائيل التى كانت تسمى وقتها " بالمزعومة " ، وما أن تقدم الجيش المصرى إلى مقربة من تل أبيب حتى سارع مجلس الأمن – بضغط أمريكى بريطانى – إلى إعلان الهدنة بين الطرفين المتحاربين مع وقف تصدير الأسلحة إليهما ..

ومع الموقف المعتاد من الغرب حيال العرب فقد أوقفت صادرات السلاح إلى مصر فقط مع استمرار إمداد إسرائيل بالسلاح رغم قرار مجلس الأمن .. !!

وكانت هولندا وقتها تحتل أندونيسيا التى بدأت فيها الروح الوطنية مطالبة بالاستقلال بزعامة أحمد سوكارنو، الذى قرر هو أيضا عرض قضية بلاده على مجلس الأمن الدولى..

كانت مصر فى ذلك العام عضوا بمجلس الأمن من غير الأعضاء الدائمين، إذ يضم المجلس إلى جانب الأعضاء الخمسة الدائمين أعضاء لعام واحد ينتخبون لتمثيل القارات الخمس فى المجلس، وعرضت قضية أندونيسيا على مجلس

الأمن، فلما حان موعد التصويت امتنعت مصر عن التصويت، فلا هى صوتت مع أندونيسيا، ولا هى صوتت مع هولندا..!!

أثار الموقف المصرى عواطف شباب الحزب السعدى، الذى كان يقود الحكومة وقتها، فكيف يمكن لحكومة يقودها النقراشى باشا الذى كان أول من عرض قضية بلاده على مجلس الأمن أن يمتنع عن التصويت فى المجلس لصالح أندونيسيا البلد الصغير، والمسلم، فى مواجهة قوة استعمارية هى هولندا..؟!

وتساءل شباب الحزب كيف أن الحكومة المصرية لم تنحاز إلى مطالب دولة صغيرة فى الاستقلال وحق تقرير المصير ، وهى – أى مصر – الدولة التى كانت تتبنى هذه المطالب وتصر عليها منذ اشتعال ثورتها الوطنية عام ١٩١٩ بزعامة سعد زغلول .. ؟!

وتعالى صياح الشباب فى نادى سعد زغلول –مقر الحزب السعدى– وارتفعت الأصوات تنتقد موقف الحزب ورئيسه دولة رئيس الوزراء الذى ناصب الاستعمار العداء منذ مطلع شبابه خلال ثورة ١٩ حتى كاد أن يصدر ضده الحكم بالإعدام .. !!

وطلب النقراشى باشا أن يجتمع بشباب الحزب ، فدخلنا إلى مكتبه فى نادى سعد زغلول ونحن نتلوى من الغضب المكتوم ، والمكبوت ..

استقبلنا النقراشى بابتسامته الهادئة ، وطلب منا إغلاق باب الغرفة ، وبدأ فى توجيه حديثه إلينا فى حضور الأستاذ

كامل الدماطى زعيم الشباب السعدى ، والحاج عبد اللطيف سكرتير رئيس الحزب ، فقال :

- أنتم الشباب مستقبل هذه البلاد ، فأنتم الذين سوف تتولون المسئولية من بعدنا .. وأنتم شباب الحزب الذى نادى بأن " الوطنية عدل وكرامة " لذلك فأننى سوف أطلعكم على موقف الحكومة من الامتناع عن التصويت فى مجلس الأمن ، ولكننى أطلب منكم - بحكم المسئولية الوطنية - أن لا يخرج حديثى معكم خلف هذا الباب المغلق ..

واستطرد النقراشى باشا يقول :

- تعلمون أن الدول الكبرى قد فرضت علينا حظر إمدادنا بالسلاح، ومع أن القرار الصادر فى هذا الشأن قد شمل إسرائيل أيضا، إلا أنه لم يطبق عليها لأسباب تعلمونها، وهى انحياز الغرب لها، وطبق فقط على الدول العربية.. وتعلمون أن جيشنا لا يزال داخل الأراضى الفلسطينية، وهو فى حاجة إلى السلاح قبل انتهاء الهدنة واستئناف القتال فى مواجهة دولة تصل إليها إمدادات السلاح بلا انقطاع رغم قرار الحظر..

وارجو أن تعلموا أن هولندا هى أحدى دولتين فى العالم - إلى جانب أسبانيا - التى لا تطبق علينا حظر الإمداد بالسلاح ونشترى منها حاجتنا من الأسلحة الصغيرة ، فكيف يمكن والحالة هذه أن نصوت ضدها فى مجلس الأمن .. ؟؟

لقد درسنا موقفنا جيدا قبل التصويت، ووجدنا أن احتياج جيشنا إلى السلاح يتقدم كافة الاعتبارات الأخرى، فقررنا اتخاذ موقف وسط، هو الامتناع عن التصويت، فلا نحن قد ناصرنا هولندا، ولا نحن قد صوتنا ضدها.. واستطرد يقول:

- كان قرارنا نابعا من حرصنا على حقن دماء جنودنـــا فى فلسطين ، والمحافظة على مكاسب الجيش التى حققها فى معاركه قبل بداية الهدنة ، وهــو الأمــر الــذى لا يتحقــق إلا بمواصلة إمداده بالسلاح .. !!

وخرجنا من مكتب النقراشى باشا وقد هــدأت ثورتنـــا ، وراجعنا أنفسنا فوجدنا أن موقف رئيس الحكومة واعتباراته ، تفوق اندفاع الشباب وضيق أفقه .. !!

كان هذا هو الدرس الثانى الذى تعلمناه مــن النقراشـــى باشا ، وهو الدرس الذى جعلنا - فيما بعد - ننظر إلى أمــور السياسة بطريقة أعمق .. وأشمل ..

اذكر ذلك وأنا أرى الآن قادة الأحــزاب السياســية فــى تعاليهم على شعبهم ، واعتقادهم بأنهم يحتكرون الحقيقة ، وأن على شعبهم - فقط - أن يطيع بلا فهم أو مناقشة .. !!

هذا هو النقراشى الذى وجدوا فى حافظة نقــوده يــوم اغتياله فى ٢٨ ديسمبر ١٩٤٨ ثلاثة جنيهات هى كل ما تبقى له من راتبه يوم ٢٨ من الشهر .. !!

ورحم الله عفة اليد.. ونقاء الضمير.. التى كانت تميــز زعماء مصر فى العصر الذى سماه العسكريون "بالعهد البائد.."

الفريق

مدكور أبو العز

رجل شريف فى زمن رديئ .. !!

نشرت الصحف خبر تعيين الفريق مدكور أبو العز رئيس أركان القوات الجوية محافظا لأسوان .. وقالت الصحف أن الفريق مدكور سوف يصل إلى أسوان فى اليوم التالى لتسلم مهام منصبه الجديد ..

استدعانى المهندس صدقى سليمان وزير السد العالى، وطلب منى أن أستقبل المحافظ الجديد فى مطار أسوان، وأبلغه تحيات الوزير ودعوته له إلى العشاء مساء يوم وصوله ..

كان الفريق مدكور مشهورا بشدة محافظته على التقاليد العسكرية .. وشدة جديته واحترامه لنفسه ، فضلا عن عدم اتفاقه مع قائد القوات الجوية أيامها ، الفريق أول محمد صدقى محمود ، رجل المشير عبد الحكيم عامر نائب رئيس الجمهورية والقائد العام للقوات المسلحة. وكان عبد الحكيم عامر قد اختار رجاله المقربين لقيادة أفرع القوات المسلحة – الجيش والبحرية والطيران – واعتمد عليهم تماما فى مواقعهم ، حتى يتفرغ هو لسهراته الخاصة ، خصوصا بعد أن تزوج من الممثلة السينمائية السيدة برلنتى عبد الحميد التى كان عشقه لها فوق كل اهتماماته الأخرى ..

ولم يكن الفريق مدكور أبو العز من رجال المشير عامر المقربين ، لكن كفاءته العسكرية – وحدها – هى التى أهلته لقيادة أركان القوات الجوية ، بعد أن أظهر كفاءة عالية فى منصب قائد كلية الطيران ، وربما كان تعيينه محافظا ، هو " ركلة إلى أعلى " لإبعاده عن القوات الجوية .. !!

استقبلت الفريق مدكور بالمطار ضمن من استقبلوه من كبار رجال المحافظة والمسئولين فى التنظيمات الشعبية ..

ودخل الفريق مدكور إلى استراحة كبار الزوار فى مطار أسوان وملامح جامدة ترتسم على وجهه ، مما جعل الجالسين فى الاستراحة يكفون عن الكلام ، ويثبتون نظراتهم على وجهه فى انتظار كلمة منه ، أو مجرد إشارة ..

وتقدمت إلى حيث يجلس المحافظ الجديد ، وانحنيت ناحية أذنه وقدمت نفسى إليه وأبلغته برسالة الوزير صدقى سليمان وبدعوته له إلى العشاء .. وهز المحافظ رأسه بالموافقة وقال : مفيش مانع ..

وفى المساء ذهبت إلى استراحة المحافظ لاصطحبه إلى استراحة السد العالى حيث يقام حفل العشاء، ولاحظت أثناء رحلتنا بالسيارة أن الملامح الجامدة التى كانت مرتسمة على وجهه بالمطار قد اختفت، وحلت محلها ابتسامة هادئة.. وودودة ..

ثم بدأت هذه الابتسامة تستقر على وجهه مع بداية عمله بالمحافظة التى كانت أول عمل له فى الحياة المدنية بعد سنوات طويلة أمضاها فى القوات المسلحة .. وشتان ما بين الحياة العسكرية ومظاهرها ، والحياة المدنية ومتطلباتها.

وبدأت صداقة وثيقة تربطنى بالفريق مدكور، رغم فارق السن بيننا، ووصلت هذه الصداقة إلى درجة الثقة المتبادلة، وإلى الحد الذى جعله يبوح لى بمكنون نفسه فى مناسبات عديدة..!!

وبدأ الفريق مدكور نشاطه فى محافظة أسوان بالتفكير فى إنشاء كورنيش للمدينة محاز لمجرى النيل ، مما يضفى على المدينة رونقا خاصا ويساعد على تشجيع السياحة فيها.

وكالمعتاد وقفت الاعتمادات المالية حائلا دون إتمام المشروع بالسرعة المطلوبة.

وفى ليلة كنت معه فيها فى استراحته ، وكانت أسرته لازالت فى القاهرة حتى ينتهى العام الدراسى ، قال لى وكأنه يتحدث مع نفسه :

– كان يمكن أن يتم إنشاء الكورنيش بسرعة أكثر لو أن هيئة السد العالى أعارتنى بعض المعدات البسيطة التى لا تزيد عن "بلدوزر" وبعض سيارات النقل ..

واستطرد الفريق مدكور يقول :

– لقد علمت أن السيد وزير السد العالى قد ساعد كثيرا سلفى المحافظ الدكتور مهندس عزت سلامه .. ولقد قالوا لى أنه ساعده لأنه كان مهندسا مثله ..

واكتفيت بالقول بأن ذلك ليس سببا كافيا .. ذلك أن المهندس صدقى سليمان لا يتأثر بهذه الاعتبارات ..

لم أكن أعرف إذا كان الفريق مدكور قد طلب المساعدة من وزير السد العالى ، أم أن بعض العاملين بالمحافظة هم الذين قدموا هذا التفسير للمحافظ حتى يصلوا – ربما – لبعض الحظوة عنده.

وفى اليوم التالى رويت للسيد الوزير ما دار بينى وبين الفريق مدكور .. وانتظرت رد فعله على هذا الحديث ، وقد كان رد الفعل مدهشا ..

قال لى :

– يالله بينا ..

قلت :

- إلى أين

قال :

- لزيارة الفريق مدكور فى مكتبه .. !!

هكذا يذهب الوزير إلى مكتب المحافظ لزيارته دون أن يفكر - حتى - فى تكليف سكرتيره "فاروق حسين" الاتصال بمكتب المحافظ.

دخلت مع السيد الوزير مكتب المحافظ وبعد تحيته استأذنت فى الانتظار فى مكتب سكرتير المحافظ إلى حين انتهاء اللقاء.

كان استقبال الفريق مدكور للمهندس صدقى سليمان غاية فى الرقة والبشاشة مقرونة بالتقدير لهذه المبادرة من الوزير .. وفى اليوم التالى كان "البلدوزر" يهدر على شاطئ النيل، وسيارات النقل تحمل ناتج الحفر .. !!

فهم الفريق مدكور -بطبيعة الحال- أننى كنت وراء تلك المبادرة فزادت ثقته فى شخصى وتعمقت العلاقة بينه وبينى..

وبدأت الحرب مع إسرائيل فى ٥ يونيو عام ٦٧ ، وكان الفريق مدكور طوال الأيام الأولى من الحرب يجلس فى مكتبه ومؤشر الراديو لا يفارق أنباء القاهرة .. وعندما كنت أزوره فى مكتبه - خلال تلك الأيام - كانت الملامح الجامدة التى رأيتها فى مطار أسوان قد عادت إلى وجهه ، ولم يعلق على ما يسمع بكلمة واحدة ، لكنه كان فقط يمط شفتيه وكأنه يقول فى نفسه : يا خسارة ..

واثبتت هزيمة ٥ يونيو، وضرب الطائرات الحربية المصرية على أرض المطارات العسكرية، أن الفريق أول

صدقى محمود لم يكن على المستوى المناسب لقيادة القوات الجوية، مثله مثل بقية القادة من بطانة المشير عبد الحكيم عامر، كما اثبتت هذه الهزيمة أن رؤية الفريق مدكور أبو العز -وهو فى منصبه العسكرى- كانت أكثر رجاحة وأقرب إلى فنون القتال من رؤية المشير عامر وأعوانه.. وأن "الركلة إلى أعلى" التى تلقاها الفريق مدكور بتعيينه محافظا، لم يكن لها ما يبررها..!!

وبعد أيام قليلة من الهزيمة، تناقلت الصحف والإذاعات أنباء انتحار المشير عبدالحكيم عامر - أو اغتياله بالسم كما رددت الشائعات ..

واستدعانى الفريق مدكور أبو العز، وصارحنى بما كان يجول فى خاطره، فهو لم يكن يعرف رد الفعل من شعب أسوان حيال انتحار المشير.. أو اغتياله.. كما أنه كانت فى أسوان قاعدة عسكرية لا يعلم أحد بردود فعل قادتها حيال ما جرى للمشير، خصوصا وأن المشير عامر قد استطاع خلال وجوده لسنوات طويلة على رأس القوات المسلحة أن يكون لنفسه شعبية بين صفوفها بالمزايا والعطايا التى كان يغدقها عليهم..

وأشرت على الفريق مدكور أن يأخذ زمام المبادأة ، وأن يخرج إلى شرفة المحافظة ويلقى كلمة فى الجماهير المحيطة بها ، وأن تدور كلماته حول حقيقة أن الأفراد زائلون وأن الباقى هو الوطن ، وإن إعادة بناء القوات المسلحة يجب أن تكون أولى اهتمامات الجميع ..

وألقى الفريق مدكور كلمته باقتدار كبير ، وبلغة عربية سليمة لا تتوفر للكثيرين من ضباط القوات المسلحة. وانتهى الأمر بسلام وعاد الهدوء إلى الشارع الأسوانى.

وفجأة تلقى الفريق مدكور أبو العز اتصالا من مكتب رئيس الجمهورية – جمال عبدالناصر – لإخطاره بأن الرئيس قد قرر تعيينه قائدا عاما للقوات الجوية ، وأن طائرة عسكرية سوف تصل خلال ساعات إلى مطار أسوان لنقل الفريق مدكور إلى القاهرة لمقابلة السيد الرئيس ..

ووصلت الطائرة العسكرية لتقل القائد العام الجديد للقوات الجوية إلى القاهرة ، ولم يستطع أن يأخذ معه سوى حقيبة واحدة احتوت على حاجاته الضرورية ، وطلب منى أن أتولى إرسال بقية متعلقاته بعد جمعها من استراحة المحافظ تحت إشرافى الشخصى ، وسلمنى مفتاح دولابه فى غرفة النوم حيث كان يحتفظ فيه ببعض الأوراق والأشياء الخاصة.

بعد انتهاء مقابلة الفريق مدكور لجمال عبد الناصر ، اتجه مباشرة إلى مكتبه فى قيادة القوات الجوية بمصر الجديدة ، وظل مقيما فيه – ليلا ونهارا – لأيام طويلة دون أن يتسع وقته لزيارة أسرته فى بيته بالمعادى اكتفاء بالاتصال التليفونى بزوجته وأولاده .. !!

كان هناك مكتب القائد العام ، وملحق به غرفة صغيرة بها سرير " سفرى " من أسرة القوات المسلحة ، وبين المكتب والغرفة الملحقة ، كان الفريق مدكور يقضى يومه وليلته ..

وصلت إلى القاهرة ومعى المتعلقات الخاصة بالفريق مدكور ، واتصلت به تليفونيا فطلب منى الحضور إلى مكتبه

بالقيادة العامة بعد الساعة الحادية عشرة مساء ، حتى يكون قد فرغ من عمله ومن اجتماعاته بمساعديه وحضوره لاجتماعات القادة الخاصة بإعادة بناء وتسليح القوات الجوية.

وفى الموعد المحدد كنت عند الفريق مدكور.. لم يكن فى المكتب سوانا، فيما عدا لحظات قليلة يدخل فيها إلى المكتب اللواء جمال عرفان سيف النصر أركانحربه ليعرض على القائد العام أمرا عاجلا، أو يأخذ رأيه فى قرار يتحتم اتخاذه..

وكعادته معى ، كان الفريق مدكور يفتح لى قلبه ، ويقول لى ما لا يستطيع أن يقوله لأحد غيرى .. كانت لقاءاتنا تمتد إلى ساعات الصباح الأولى .. وكان أكثر ما يؤرق الفريق مدكور هو موقف البعثة العسكرية التى أرسلها الاتحاد السوفيتى للتنسيق مع قيادة القوات الجوية لتعويض الطائرات المقاتلة التى دمرتها إسرائيل وهى قابعة على أرض المطارات العسكرية المصرية.

كان الفريق مدكور يضع أمام البعثة العسكرية السوفيتية مواصفات للطائرات التى تحتاجها القوات الجوية.. سرعتها.. مدى طيرانها.. أنواع التسليح وحجمه الذى تستطيع أن تحمله.. قدرة الطائرة على المناورة.. الخ.. الخ.. وكان رد الخبراء السوفيت دائما أن الاتحاد السوفيتى لا يملك طائرات من الطرازات المطلوبة.. أو تلك التى تملك كل المواصفات المطلوبة..!!

ولم يكن الفريق مدكور يصدق أن الاتحاد السوفيتى - أحدى القوتين العظميين- فى ذلك الوقت - لا يملك طائرات مقاتلة بالمواصفات المطلوبة ، وكان تفسيره دائما أن الاتحاد

السوفيتى يملك هذه الطائرات ، لكنه لا يريد إعطاءها لمصر حرصا على علاقات توازن القوى بينه وبين الولايات المتحدة الأمريكية .. أى أن الاتحاد السوفيتى مستعد لتوريد طائرات للأغراض الدفاعية فقط ، ولا يريد أن يورد طائرات يمكن أن تستخدم فى الهجوم.. وهو بالضبط ما كان الفريق مدكور يهدف إليه ..

وكانت المناقشات بين القيادة المصرية للقوات الجوية والبعثة العسكرية السوفيتية تتسم احيانا بالحدة مما أوجد بين الطرفين شيء من فقدان الثقة ، وطبقا للأنظمة التى كان يتبعها الموظفون السوفيت كان كل شيء يدور فى الاجتماعات ينقل بكل تفاصيله إلى عملاء المخابرات السوفيتية KGB المتواجدون فى سفارة الاتحاد السوفيتى فى القاهرة ، تحت ستار أنهم موظفون دبلوماسيون .. !!

وهكذا أصبح الفريق مدكور أبو العز على القائمة السوداء للاتحاد السوفيتى باعتباره غير متعاون معه، حتى ولو كانت مطالبه من الطائرات ذات الإمكانيات الهجومية هى وسيلة مصر الوحيدة للخروج من الهزيمة إلى إمكانيات النصر ..

هذا هو الإشكال الأول الذى واجهه الفريق مدكور فى منصبه الجديد ، أما الإشكال الثانى فكان يتمثل فى المواجهات بينه وبين الفريق أول محمد فوزى الذى عينه عبد الناصر قائدا عاما للقوات المسلحة بعد هزيمة ٥ يونيو ..

كان الفريق أول فوزى يريد التدخل فى كل صغيرة وكبيرة فى القوات الجوية ، وحاول أن يحجّم سلطات قائد القوات ، بحيث يمر كل شيء من خلال القيادة العامة ، وهو

نظام لم يكن معمولا به على أيام المشير عبد الحكيم عامر ، وقد استطاع الفريق أول فوزى أن يقنع عبد الناصر بأن هذه هى الطريقة الوحيدة لإعادة الانضباط إلى القوات المسلحة ، بعد أن كان استئثار قادة الأفرع الرئيسية بالسلطة أيام المشير هو أحد أسباب هزيمة ٥ يونيو .. ومعروف أنه كانت هناك حساسية دائما بين ضباط الجيش والفريق أول فوزى منهم ، وضباط القوات الجوية والفريق مدكور منهم ..

وتكمن أسباب هذه الحساسية فى أن ضباط الطيران يعتقدون بتفوقهم على ضباط الجيش من الناحية الفنية وبأنهم هم القادرون على تمهيد أرض القتال أمام القوات البرية ، وبدون الغطاء الجوى فأن الجيش لا يستطيع تحقيق نصر ، أو تجنب هزيمة ..

وربما كان لهذا الرأى بعض الوجاهة ، لكن ضباط الجيش هم الآخرون يعتقدون أن أى معركة لا تحقق أهدافها إلا بواسطة القوات الأرضية ، فهى التى تزحف ، وهى التى تحتل المواقع.

انعكست هذه الحساسية على علاقة الفريق أول محمد فوزى بالفريق مدكور أبو العز حتى وصلت إلى تبادل المكاتبات العنيفة بين الاثنين ..

وفى يوم كنت فيه فى زيارة الفريق مدكور بمكتبه – بعد الساعة الحادية عشرة مساء – جاء أركان حربه يقول أن هناك ضابط من القيادة العامة قد وصل ومعه رسالة سرية وعاجلة من القائد العام إلى الفريق مدكور .. وقمت واقفا استأذن فى الإنصراف ، لكن الفريق مدكور أشار لى بيده لكى

أجلس فى مكانى .. وكان لابد أن استجيب .. ودخـل ضـابط برتبة نقيب أدى التحية العسكرية للفريق مدكور ومد يده إليـه بمظروف مغلق ، وقال له أنه من القائد العام ..

صرف الفريق مدكور مندوب القيادة وفـتح المظـروف وبدأ يقرأ الرسالة ، وبدأت حمرة الغيظ ترتسم على وجهه مع كل سطر يقرؤه من سطورها.

وفجأة أشاح الفريق مدكور بامتداد ذراعـه بالرسـالة ، وقال لى :

- اتفضل اقرأ فوزى بيقول ايه ..

قلت له لا أريد أن اقرأ شيئا ..

قال :

لماذا .. ؟

قلت لأن الله سبحانه وتعالى قد عـرض الأمانـة علـى السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها .. وأنا الآن فى مكتب قائد عسكرى يريد أن يطلعنى على خطاب كتبـه القائـد العام للقوات المسلحة، وهى أمانة أشفق على نفسى منها ..

ونظر إلى الفريق مدكور ووضع الرسالة على مكتبـه ، وروى لى مضمونها وهو لا يخرج عن مضمون ما سـبق أن أخبرنى به من رغبة القائد العام فى التدخل فى أدق تفاصـيل العمل اليومى ، وحرصه على أن لا يجرى قائد القوات الجوية أى تنقلات بين مساعديه قبل أن يستطلع رأى القائد العام ..

وكثرت الشكايات إلى عبد الناصر من تصرفات الفريـق مدكور، بعضها من السفارة السوفيتية ، وبعضها الآخـر مـن الفريق محمد فوزى، فقرر عبد الناصر عزله من قيادة القوات

الجوية وتعيينه مستشارا لرئيس الجمهورية ، أى نقلـه إلـى وظيفة بلا عمل .. !!

وقد جرت وقائع عزل الفريق مدكور كما يلى وفقا لما رواه لى هو شخصيا ..

استدعى لمقابلة جمال عبد الناصر الذى قال له :

– لقد قررنا إجراء تعديل فى قيادة القوات الجوية وأصدرت أوامرى بتعيينك مستشارا لرئيس الجمهورية ..

استجمع الفريق مدكور هدوءه وقال :

– هو سيادتك محتاج إلى مستشارين .. ؟؟

فقال عبد الناصر :

– احنا عارفين احنا بنعمل ايه ..

وخرج الفريق مدكور من مكتب رئيس الجمهورية وهو مصمم على رفض المنصب الجديد .. وأتصل بى ليطلعنى على قراره بالاستقالة .. وسألنى رأيى فى قراره بطريقة توحى بأنه يريد منى أن أوافقه عليه ، لكننى سمحت لنفسى بأن أقول له :

– أننى لا اتفق معك فى قرارك ، فأنت قبل كل شيء رجل عسكرى ومن خصائص الرجل العسكرى إطاعة ما يصدره له قائده من أوامر .. وجمال عبد الناصر هو القائد الأعلى للقوات المسلحة وواجبك أن تطيع أوامره ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فأنك إذا استقلت سوف تخلق لنفسك عداوة مع رئيس الجمهورية ، وهو رجل غير مأمون الجانب ، وربما اعتقد أن استقالتك هى إهانة له ..

فقال الفريق مدكور بذهن شارد :

- وهل أعاقب لأننى أردت تزويد القوات الجوية بطائرات تمكنها من تجاوز الهزيمة المخزية فى ٥ يونيو .. وهل أقبل أن أتقاضى راتبا عن وظيفة بغير اختصاص .. ؟؟

قلت : الحق معك ولكن كل ما أطلبه هو أن تقبل المنصب الجديد لمدة شهر أو شهرين ثم تطلب إعفاءك من العمل لظروف صحية ..

واستجاب الفريق مدكور لرجائى وذهب إلى مكتبه الجديد .. كانت الرئاسة قد أعدت له مكتبا فى مبنى الحكومة المركزية فى مصر الجديدة (رئاسة الجمهورية الآن) .. حجرة أنيقة ، ومكتب متسع توضع عليه كل صباح جميع الصحف الصادرة فى مصر ، وعلى جانب من المكتب عدة تليفونات من بينها تليفون BBX وهو خاص بالشبكة المغلقة التى تربط مكاتب الرئاسة بعضها ببعض ، وهو التليفون الذى قال لى الفريق مدكور أنه لم يدق مرة واحدة طوال الفترة التى قضاها فى منصب مستشار رئيس الجمهورية .. !!

والفريق مدكور رجل عسكرى منضبط يذهب يوميا إلى مكتبه فى تمام الساعة التاسعة صباحا ويغادره فى الثانية بعد الظهر .. لا تعرض عليه خلال هذه الفترة ورقة من أى نوع أو يعرض عليه موضوع مهما كان تافها ، كل ما هناك أنه يقرأ الصحف الموجودة على مكتبه أو يتصل تليفونيا بصديق .. وكنت واحدا من هؤلاء الأصدقاء الذين أبلغهم بأن الوقت قد حان للاستقالة من وظيفة بغير اختصاص ، ومرتب أقرب إلى الصدقة منه إلى مقابل لعمل .. !!

رئاسة الجمهورية

مستشار رئيس الجمهورية

عزيزي أحمد

سلام من عند الله إليك وتحية طيبة مباركة لك ولحرمكم المصونة وتمنياتي لكما دائما بالصحة والسعادة والتوفيق

وصلني خطابكم الرقيق دائما، من مدة ولكنني في كل وقت أحب أن أجلس إلى مكتبي لأكتب لك الرد لأعبر عن الشعور الأخوي الخالص الذي يربطنا وللإشادة بشعورك النبيل نحوي والاشتراك مع عواطفك النبيلة أيضا.

لقد تأثرت بخطابك الأخير مع قصره فكان كمثله من الخطابات التي أرسلت إليّ في هذه الفترة العصيبة من حياتي، أحسن رفيق وخير مؤنس، فقد كنت أنت وأمثالك أشقائي أمثلة صادقة لغاية الأمانة والإخلاص مؤمنا بأن الأعمال الطيبة والمبادئ الأصيلة لن تمحى أو تموت وسوف تبقى إلى الأبد حية وأصيلة. فبارك الله لك ولي ولكل مؤمن بالمبادئ الأصيلة التوفيق والسداد.

أنتهز فرصة حلول عيد الفطر المبارك فأبعث إليك وإلى حرمكم المصونة أجمل التهنئة بالعيد السعيد أعاده الله عليكم دائما باليمن والبركات. والله يسلمكم في الزيارة القادمة بالتوفيق دائما

المخلص

ه. أدهم

فى هذه الأثناء كتب الأستاذ محمد حسنين هيكل – رئيس تحرير جريدة الأهرام وقتها – مقاله " بصراحة " يبرر فيه التغيير الذى جرى فى قيادة القوات الجوية ، كعادته فى تبرير كل قرارات الرئيس ، فكتب يقول أن القوات الجوية قد أصبحت الآن فى حاجة إلى خبرة اسراب القتال ، وليست خبرة اسراب النقل .. وكان هذا يعنى بطبيعة الحال أن الفريق مدكور له خبرة اسراب النقل وأنه لا يتمتع بخبرة اسراب القتال ، وأن ذلك هو سبب تنحيته عن قيادة القوات الجوية .. !؟؟

وكان هذا المقال هو القشة التى قصمت ظهر البعير كما يقولون، فاستقال الفريق مدكور من وظيفة المستشارية ليكرس كل جهده فى تربية أبنيه.

وفى أثناء الفترة الحرجة التى قرر فيها الفريق مدكور الاستقالة من منصبه كتبت له خطابا من أسوان متضمنا وجهة نظرى فيما قرره من الاستقالة ، موافقا له فى وجهة نظره ، فرد على بالخطاب الذى أنشره فى هذا الفصل من الكتاب ، وهو الخطاب الذى يلخص وجهة نظر الفريق مدكور ، ويؤكد فى نفس الوقت على ما كان بينه وبينى من الثقة والتقدير !!

أحمد يونس

ما طار طير وارتفع ..

كان أحمد يونس رئيسا للطلبة السعديين فـى مدرسـة طنطا الثانوية .. وكانت المدارس الثانوية – على قلتها فى ذلك الزمان – تمثل برلمانا صغيرا يضم كافة التيـارات السياسـية والحزبية خصوصا مدارس الأقاليم ، فقد كانت طنطا – مثلا – هى عاصمة الوجه البحرى، يفد إليها طلاب من كافة المراكـز التابعة للمديرية (المحافظة الآن) ومنهم من يأتى من القرى أو البلدان الصغيرة ، فقد كانت طنطا الثانوية هـى المدرسـة الثانوية الوحيدة فى الأقليم ..

وكانت الأحزاب السياسية المعروفة فى ذلك الوقت كالوفد والسعديين والدستوريين وغيرهم تمتد جذورها إلـى أعمـاق الريف المصرى، وتمثل نوعا من العصبيات العائليـة، حيـث يعتنق كبير كل أسرة مبادئ حزب من الأحزاب، ويتنافس هـو وكبراء العائلات الأخرى للحصول على عضـوية البرلمـان.. وكان أفراد الأسرة وأتباعها يسيرون خلف كبيـرهم ، سـواء فهموا معتقداته السياسية أو لم يفهموها.. فكبير العائلـة هـو الريان وبقية أفراد الأسرة إتباع أو "توتيـة" بحسـب تعبيـر البحارة..!!

وكان أحمد يونس من أسرة متوسطة فى قرية " النجيلة " التابعة لمديرية دمنهور ، وكان يدرس هو واثنين من اشقائه فى مدرسة طنطا الثانوية .. كان أبوهم فلاح يمتلك بضع أفدنة من الأرض يزرعها بنفسه ، ويكفى عائدها لأن يرسل أبنـاءه

الثلاثة إلى المدارس - وكانت وقتها بمصروفات - وأن يستأجر لهم فى حى شعبى فى طنطا يقع خلف مسجد السيد البدوى ، شقة متواضعة يقيمون فيها ، ويرسل إليهم من الحين والآخر الزاد والزواد إلى جانب " الشهرية " المتواضعة التى تصلهم فى أول كل شهر .

كان أحمد يونس أكبر أخواته - إبراهيم وإسماعيل - وكان إبراهيم منتميا إلى حزب مصر الفتاة الذى يتزعمه أحمد حسين ، وهو حزب تأثر فى نشأته ومبادئه بالحزب الفاشى الإيطالى قبل الحرب العالمية الثانية وكان بزعامة موسولينى ويسمى حزب إيطاليا الفتاة ..

وأما أحمد يونس فقد انتمى إلى شباب الحزب السعدى الذى كان يشكل الحكومة وقتها ، وأصبح بطموحه الشديد رئيسا للجنة الطلبة السعديين بمدرسة طنطا الثانوية.

وفى طنطا تعرف أحمد يونس على مفتش البوليس السياسى فى المديرية (مباحث أمن الدولة الآن) وكان برتبة " صاغ " أى رائد بلغة أيامنا الحاضرة ..

كان مفتش البوليس السياسى هو الصاغ سعد الدين السنباطى، وهو من قرية سنباط ، كما يشى بذلك أسمه ، وكان شديد الرغبة فى التقرب إلى الحزب الحاكم - حزب الهيئة السعدية - حتى لو كلفه ذلك أن يلفق بعض الإتهامات لعدد من أتباع الأحزاب الأخرى ، فضلا عن مراقبته المستمرة لنشاط

الأخوان المسلمين وللقيادات الشيوعية الصاعدة فى مصر فى أعقاب الحرب العالمية الثانية ، وخـروج الاتحـاد السـوفيتى منتصرا فيها .. !!

وأسفرت الرغبة الجامحة للصاغ سعد الدين السـنباطى فى استرضاء الحزب الحاكم إلى بزوغ منافسة شـديدة بينـه وبين اللواء عباس عسكر حكمدار الغربية (مدير الأمن الآن) وأن بقيت هذه المنافسة خافية إتباعـا للأسـاليب البوليسـية المعروفة ..

اللواء عباس عسكر يعتبر نفسه مسئولا عن أمن الأقليم بما يقتضيه ذلك من تبعية كافـة أجهـزة الشـرطة لإشـرافه المباشر وخضوعها لأوامره وتوجيهاته .. أما الصـاغ سـعد الدين السنباطى فكان يعتبر نفسه مستقلا فى عمله ، لا يخضع إلا إلى رئاسة القلم السياسى فى وزارة الداخلية فى القاهرة.

واهتدى الصاغ سعد الدين السنباطى إلى حيلة تخلصـه من هيمنة الحكمدار (مدير الأمن الآن) هو تدبير مكيدة تظهر اللواء عباس عسكر فى صورة المناوئ للقصر الملكى ووزارة السعديين ..

ولم يجد سعد الدين السنباطى أفضل من أحمـد يـونس ليشاركه فى التخطيط لهذه المكيدة .. وفى تنفيذها .. خصوصا وأن مفتش القلم السياسى وقتها كانت تحب يده بضع جنيهات

من المصاريف السرية ، يمكن أن تغرى طالبـا يـدرس فـى المدارس الثانوية ، ويعيش على النذر اليسير .. !!

ذهب أحمد يونس إلى مكتب البريد ، وأرسل برقية إلـى "معالى رئيس الديوان الملكى" قال فيها :

اللواء عباس عسكر حكمدار الغربية قاد مظاهرة تهتـف ضد جلالة الملك ، وحمله فيها المتظاهرون على الأعناق وهو يرتدى ملابسه العسكرية هاتفا بسقوط جلالة الملك .. !!

لم تكن هناك مظاهرة ولا هتافات .. ولم يكن متصورا أن يقود أكبر مسئول فى أمن مديرية الغربية مظاهرة ضد الملـك وهو فى ملابسه العسكرية ، كان ذلك كله من نسج الخيـال .. خيال سعد الدين السنباطى وأحمد يونس .. ومع ذلك فقد حول رئيس الديوان الملكى البرقية إلى رئـيس الحكومـة ووزيـر الداخلية فى نفس الوقت ، المرحوم محمود فهمـى النقراشـى باشا ، الذى أحالها بدوره إلى إدارة التفتيش بوزارة الداخليـة التى أوفدت أحد مفتشيها إلى طنطا للتحقيق ..

كان كل شيء معدا لاستقبال مفتش الداخلية ، الذى بـدأ بسؤال مرسل البرقية فأكد فى التحقيق ما تضـمنته برقيتـه ، واستشهد باثنين من الشهود ، هما الصاغ سعد الدين السنباطى مفتش القلم السياسى، وطالب آخر فى مدرسة طنطا الثانويـة هو مصطفى سنان ، الذى لم يكمل دراسته الثانويـة فـالتحق

بوظيفة صغيرة فى أحدى المحاكم ، وانتقل منها للعمل محررا للحوادث فى أحدى الصحف الكبرى ، حتى وافته منيته ..

وقد أكد الشاهدان أقوال أحمد يونس فى التحقيق ، وعاد مفتش الداخلية إلى القاهرة حائرا بين أقوال الشهود ، وحكاية لا تصدق عن موظف كبير برتبة لواء نسب إليه أنه كان يقود مظاهرة تهتف بسقوط ملك البلاد .. !!

ووجدت وزارة الداخلية أن الحل هو نقل اللواء عباس عسكر حكمدار الغربية حكمداراً لأسيوط ، وهو مجرد نقل مكانى لا يحمل معنى الإدانة أو البراءة.

ولكن ، ماذا حدث لقطبى المؤامرة بعد ذلك .. ؟ وماذا جرى لهما بعد قيام نظام يوليو ٥٢ .. ؟؟

قُدم سعد الدين السنباطى إلى محكمة الثورة لإتهامه فى بعض القضايا المتعلقة بفترة عمله فى البوليس السياسى وأخصها اضطهاده للأخوان المسلمين .. وكانت حركة يوليو فى أول عهدها لازالت فى شهر العسل مع الأخوان .. فحاكمت من أجل خاطرهم إبراهيم عبد الهادى باشا رئيس الوزراء عام ١٩٤٩ بتهمة اضطهاد الأخوان ، وحكمت عليه بالإعدام (!!) وقد خفف الحكم بعدها إلى المؤبد بفضل تدخل اللواء محمد نجيب رحمه الله ، فما أن انتهى شهر العسل مع الأخوان ، ووقع اعتداء على جمال عبد الناصر فى ميدان المنشية بالإسكندرية – وكان الأخوان متورطون فيه – حتى صدر

القرار " بعفو صحى " عن إبراهيم عبد الهادى فخرج من سجنه نكاية من النظام العسكرى فى الأخوان المسلمين .. ؟!

أما سعد الدين السنباطى فقد كانت جلسة محاكمته أمام محكمة الثورة مسرحية كوميدية من الطراز الأول .. دافع السنباطى عن نفسه .. واعتلى المقعد الذى كان يجلس عليه فى المحكمة ، وهتف بحياة الثورة والثوار .. وأخرج من جيبه حزمة من الأوراق تضم صور البرقيات التى أرسلها تأييدا للثورة منذ يومها الأول ، مقرونة بإيصالات إرسال البرقيات. تعبيرا عن ولائه لها منذ يومها الأول ، ومع أنه لم يكن من المألوف لضابط شرطة أن يعمل بالسياسة فيؤيد الثورة أو يعارضها ، إلا أن برقياته كانت سببا فى حصوله على البراءة وعودته إلى عمله بوزارة الداخلية التى رقى فيها حتى حصل على رتبة لواء وأصبح مديرا لأمن أسوان .. !!

فماذا عن أحمد يونس .. ؟!

بعد حصوله على الثانوية العامة وعمره يقرب من الثلاثين ، انتقل إلى القاهرة والتحق بكلية الحقوق ، فلما لم يوفق فيها انتقل إلى كلية التجارة فلم يوفق فيها هى أيضا فقرر العودة إلى قريته " النجيلة " لزراعة الأرض التى خلفها والده بعد رحيله إلى جوار ربه ..

وفى النجيلة تزوج أحمد يونس من آنسة من ذات القرية توفى والدها مخلفا لها بضعة أفدنة ، أصبح أحمد يونس يزرع

ما تركه والده للأسرة إلى جانب ما تركه والد زوجته المرحوم سليمان حرحش ، فشعر بدفء الريف .. ودفئ العائد. وتلفت حوله فوجد أن معظم زراعات القرية هى " البطاطس " وكان أيضا من زراعها ، ففكر فى تكوين جمعية تعاونية لزراع البطاطس ، وأصبح رئيسا لها فهو " المتعلم " الوحيد من أعضائها ، حتى أن أهل القرية أصبحوا ينادونه بالأستاذ ..

وهكذا أصبحت لأحمد يونس صفة تخوله حق الكلام باسم الجمعية ومصالحها ، كما مكنته تلك الصفة من الالتقاء ببعض المسئولين فى محافظة البحيرة ، وعاصمتها دمنهور ، حتى وصل إلى التعرف على محافظ الإقليم .. السيد وجيه أباظة ..

كان السيد وجيه أباظة فى بداية نظام يوليو ٥٢ مسئولا عن الدعاية للنظام ، سواء أثناء عمله بالشئون العامة للقوات المسلحة ، أو بصفته رئيسا لشركة النيل للإعلان التى انشأها النظام ساترا لأنشطة مخابراته ..

كان وجيه أباظة وراء أول ملصق على الحوائط " أفيش " بعد قيام حركة يوليو يصور قبة البرلمان وبجانبها جندى يشهر سلاحه ، وكتب عليها " نحن نحمى الدستور " .. !!

وكان وجيه أباظة وراء دعوة الممثل الأمريكى " جونى وسملر (طرزان) إلى حفلات أقيمت فى حديقة الأندلس ابتهاجا بالنظام العسكرى ، وحشدا للجماهير وراء النظام .. !!

وكان وجيه أباظة – بصفته رئيسا لشركة النيل للإعلان – وراء افتتاح فرع للشركة فى لبنان ، تكون مهمته اجتذاب الصحفيين هناك لمناصرة النظام العسكرى فى مصر عن طريق منح الإعلانات والعطايا بكافة أنواعها ، ومواجهة الحملات الصحفية ضد النظام المصرى وأخصها حملات الإعلام السورى الذى كان يسمى النظام المصرى " حكومة البكباشية " وكانت بكباشى هى رتبة جمال عبد الناصر عندما قام بانقلابه ..

ومكافأة من جمال عبد الناصر لوجيه أباظة عينه محافظا للبحيرة – المحافظة التى تضم بين قراها قرية أحمد يونس " النجيلة" .

وكان المحافظ الجديد فى حاجة إلى بريق ، خصوصا وأنه كان رجل الدعاية والعلاقات العامة المرموق ، كما كان أحمد يونس مشتاقا لمعاودة نشاطه من جديد تحقيقا لطموحاته بعد أن ألغيت الحياة الحزبية فى مصر على يد نظام يوليو ، وبعد الفشل فى إكمال دراسته الجامعية ..

وهذه المرة لم يكن اتفاق أحمد يونس مع سعد الدين السنباطى، وإنما مع وجيه أباظة قطب النظام الجديد ، ومحافظ الإقليم .

وعرض أحمد يونس على وجيه أباظة فكرة تحمس لها المحافظ حماسا شديدا وهى إقامة جمعية لرعاية عمال التراحيل .. وعمال التراحيل هو تعبير يطلق على العمالة

الموسمية التى تعمل فى الحقول فى مواسم معينة كجمع المحاصيل ، أو مقاومة الآفات ، أو استصلاح الأراضى بحيث ينتهى عمل هؤلاء العمال بانتهاء العمل الذى استقدموا من أجله ، فهم ليسوا عمالا دائمين لهم دخل ثابت ، أو أية ضمانات لحياتهم وصحتهم ، وأغلبهم منهك بالفقر .. وبالجهل .. وبالمرض ..

راقت الفكرة لوجيه أباظة .. اليس جمال عبد الناصر هو راعى العمال والفلاحين . ؟ إذن فسوف يعجب بعمل وجيه أباظة ، فضلا عما يحققه هذا المشروع من دعاية للنظام. وهكذا حصل أحمد يونس على الضوء الأخضر من المحافظ ، بل ودعمه بكل الوسائل من أجل نجاح المشروع .

وقد حدث بالفعل أن زار جمال عبد الناصر محافظة البحيرة ، فى طريقه إلى الإسكندرية ، فاستعرض المحافظ أمامه الإنجازات التى تحققت فى المحافظة ، وعلى رأسها مشروع عمال التراحيل ، وهو ما زاد جمال عبد الناصر إعجابا بوجيه أباظة ومعاونوه .. !!

وتوثقت العلاقة بين الطرفين ، وجيه أباظة وأحمد يونس ، وحصل كل منهما على ما يريده من الآخر ، البريق للمحافظ وبعض الخدمات لقرية أحمد يونس ، وهى خدمات تدخل كلها فى اختصاص الإدارة المحلية ، التى يملك المحافظ فيها كل السلطات. فلما جاء موعد انتخابات مجلس الأمة رأى أحمد

يونس أنها فرصته السانحة ليخرج من إطار المحافظة إلى رحاب أوسع بكثير هو عضوية مجلس الأمة ، وكان طبيعيا أن يلقى أحمد يونس من المحافظ كل التشجيع والتأييد حتى فاز بعضوية المجلس بشعبيته بين أهل قريته من جهة ، وبتأييد المحافظ له من جهة أخرى ..

استأجر أحمد يونس شقة فى حى المهندسين بالقاهرة ، وبدأ يستقبل فيها زملاءه من أعضاء مجلس الأمة ، فى محاولة منه لإنشاء جبهة فى المجلس تشايعه ، وكان له ما أراد بفضل معرفته بمشاكل العمال والفلاحين ، وبفضل قدرته أيضا على الكلام وعلى الإقناع .. وعم الخير على أهل قرية " النجيلة " وأضاف أحمد يونس إلى ملكه فى أرضها الزراعية عدد لا بأس به من الأفدنة ، فأصبح من الأعيان ..

وبحكم عمله فى مجلس الشعب ، وخصوصا عضوية اللجان المختصة بالعمال والفلاحين ، وجهت إليه الدعوات من بعض الدول الاشتراكية لزيارتها ، فعرف لأول مرة السفر فى الدرجة الأولى فى الطائرات ، والإقامة فى أفخم فنادق دول المجموعة الاشتراكية، بجانب ما كان يصرف له من بدلات سفر أو يقدم إليه من هدايا ..

وبعد وفاة عبد الناصر، جاءت معركة السادات مع من سماهم بمراكز القوى، وقام باعتقال قادتهم ومن بينهم لبيب

شقير رئيس مجلس الأمة فيما عرف بحركة التصحيح فى ١٥ مايو ١٩٧١ .

وأنقسم أعضاء مجلس الأمة فيما بينهم ، فمنهم من أيد الحرس القديم ، ومنهم من انحاز إلى السادات ، وكان أحمد يونس من بين هؤلاء ، فقد راهن على السادات وكسب الرهان.

والسادات رجل ريفى ، يتمتع بأخلاق القرية وتقاليدها ، لذلك كان عليه أن يكافئ أحمد يونس فعينه رئيسا للاتحاد العام التعاونى الزراعى ، وهو الاتحاد الذى اتخذ أحمد يونس مقرا له عمارة كاملة فى شارع التحرير بالدقى ، وأصبحت له بحكم منصبه الجديد إليد الطولى فى الإشراف على التعاونيات من الإسكندرية حتى أسوان. وحصل على مكتب فخم ، وسيارة فارهة إلى جانب السفريات والاجتماعات الشعبية التى يرأسها، أو التى تقام على شرفه ..!!

لكن الذكاء – هذه المرة – قد خانه ، فاعتبر نفسه فوق منزلة الوزراء وتعامل معهم بغطرسة كبيرة استنادا إلى شعبيته .. وثقة الرئيس ..

كان يدعو رئيس الوزراء والوزراء لحضور المؤتمر العام السنوى للاتحاد التعاونى العام ، فيحضر بعضهم ويعتذر البعض الآخر، لكنه كان يحصل من الحاضرين منهم على

ميزات جديدة للاتحاد الذى يرأسه مما ضاعف فى شعبيته .. وفى ثقته فى نفسه ..

وفى أحد الأعوام أعلن عن حضور الرئيس أنور السادات لافتتاح المؤتمر العام ، وإلقاء خطاب فيه. واكتسب المؤتمر زخما كبيرا وأهمية كبرى لدرجة اهتمام الرئيس بالمؤتمر وحضوره شخصيا جلسة الافتتاح .

وفى الموعد المحدد انتظر الحاضرون للمؤتمر – وهم بالآلاف– حضور الرئيس السادات ، لكن الانتظار قد طال قبل أن يهمس أحد أعوان أحمد يونس فى أذنه باعتذار الرئيس عن الحضور .. ومن بعده اعتذار رئيس الوزراء ..

كانت صدمة قاسية لأحمد يونس ، وإحراجا شديدا له أمام الآلاف التى كان يداعب خيالها حضور الرئيس ، وما يمكن أن يترتب على هذا الحضور من مزايا لتعاونيات الفلاحين ، فالرئيس لا يحضر فى مناسبة إلا ويكون الخير فى ركابه ..

وانتابت أحمد يونس حالة عصبية جعلته يقف أمام الميكروفون ليقول باندفاع :

– لقد دعونا رئيس الجمهورية ، ورئيس الوزراء لافتتاح المؤتمر ، وقد قبلا الدعوة ، لكنهما اعتذرا فى آخر لحظة عن عدم الحضور ..

واستطرد يقول بنفس الاندفاع :

– والله اللى عايز ييجى ييجى واللى مش عاوز "عنه ما جه".

ونقلت هذه العبارة إلى الرئيس السادات ، الذى غضب منها كل الغضب .. وفتحت أبواب جهنم على أحمد يونس ، وبدأ الأستاذ موسى صبرى رئيس تحرير جريدة الأخبار – المقرب من الرئيس السادات – حملة شديدة على رئاسة الاتحاد التعاونى العام ورئيسه أحمد يونس إلى حد اتهامه بمخالفات مالية جسيمة وإهداره لميزانية الاتحاد وحصوله على منافع شخصية باسم رئاسته للاتحاد ، ولم تتوقف الحملة الصحفية إلا بعد أن أقيل أحمد يونس من منصبه وقدم إلى المحاكمة بقائمة طويلة من الإتهامات ..

وزالت السلطة .. وزال النفوذ .. وعاد أحمد يونس مزارعا فى قريته " النجيلة " لا يسأل عنه أحد ، ولا يزوره أحمد ممن كان أقصى أملهم – فى وقت من الأوقات – أن يقابلوا أحمد يونس أو يتقربوا إليه .. وعاد إلى زراعة البطاطس .. !!

وتشاء الأقدار أن يموت أحمد يونس بأزمة قلبية قبل أن يصدر حكم القضاء ببراءته مما نسب إليه .. وقبل أن يكتب الأستاذ موسى صبرى فى جريدة الأخبار كلمة اعتذار للمتهم الذى رحل إلى العالم الآخر .. !!

وكان كل ما استطاع أحمد يونس أن يفعله انتقاما من السادات هو أن يصوت فى مجلس الشعب ضد معاهدة كامب دافيد ضمن أحد عشر عضوا عارضوا المعاهدة ، وعضو واحد امتنع عن التصويت ، هو الدكتور شامل أباظة ابن السياسى الكبير فى العصر الملكى ، إبراهيم الدسوقى أباظة باشا.

أما وجيه أباظة ، محافظ البحيرة ، ثم محافظ الغربية والقاهرة، فقد اعتقله أنور السادات فى أحداث ١٥ مايو ، فلما أفرج عنه ترك السياسة وأصبح وكيلا لسيارات بيجو الفرنسية فى مصر وأحد رجال الأعمال الناجحين.

وجيه أباظة

صدر للمؤلف

- باللغة الفرنسية :

L'EVOLUTION DE L'ENSEIGNEMENT AU MAROC SOUS LE PROTECTORAT FRANCAIS. (1956)

- باللغة العربية :

- فرنسا الطاغية	القاهرة ١٩٥٧
- المسلمون فى روسيا	بيروت ١٩٥٨
- حقيقة بورقيبة	القاهرة ١٩٥٩
- مستقبل الاقتصاد العربى	القاهرة ١٩٦١
- قراءة فى ملف الإرهاب	القاهرة ١٩٨١
- السادات قبل الرئاسة	القاهرة ١٩٨٥
- من هوجة عرابى إلى الحركة المباركة	بيروت ١٩٨٨
- الوجه الآخر للديموقراطية	الجزائر ١٩٨٩

رقم الإيداع : ٧٥٧٤ / ٢٠١٠

الترقيم الدولى : 977-17-8674-1

دار رؤوف للطباعة
م . رؤوف سليمان وهبه
٠١٢٣٤١٤١١٥ - ٢٧٨٦٢٨٣٣

تصميم الغلاف
م . وسام سعيد الليثى
العالمية جروب

لقد حرصت فيما رويت فى هذا الكتاب على أن أوثق كل كلمة أقولها بمستند ، وأن أذكر كل من يتناولهم الحديث بالاسم ، فيما عدا سيدة واحدة رمزت لها بحرب (م) حرصا على اعتبارات تتعلق بها هى ، ولا تتعلق بى أنا ، أما الآخرون من الأحياء فأنا أعلم - وهم يعلمون - أننى لم أتجن على واحد منهم ، بل وربما حجبت جزءا يسيرا من الحقيقة زيادة فى الحرص على اجتباب الجناية أو التجنى .. أما من انتقلوا إلى رحاب الله ، فأننى قد حرصت على الموضوعية فى سرد كل ما يتعلق بهم ، يقينا منى بأننا - جميعا - سوف نقف أمام إله عادل يحاسب كلً بعمله ، وأنا أخشى يوم الحساب ..

المؤلف

Bibliotheca Alexandrina
09388558